

بسم الله الرحمن الرحيم

الرد الأثري المفيد على البيجوري في جوهرة التوحيد

ملاحظات على البيجوري في
شرح جوهرة التوحيد

تأليف
أبو قتادة الفلستيني
عمر بن محمود أبو عمر

تم تنزيل هذه المادة من
منبر التوحيد والجهاد

w.dehwat.www//:ptth
dqamla.www//:ptth

ofni.hannusla.www//:ptth

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون}، {يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وبت منهم رجالا كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً}، {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديداً، يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً}.

أما بعد:

فإن خير العلوم وأشرفها: علم التوحيد، وأفضل مراتب الجهاد: الذب عن جناب التوحيد وتصفيته من الشوائب والبدع مما يدخل عليه غفلة من أهل الحق.

وفي غفلة تولى قيادة هذه الأمة فئات من المفكرين ساروا بالأمة إلى مواطن الهاوية وذلك لبعدهم عن النبع الإسلامي الصافي وحملهم الوية إلخارف الباطلة والعقائد المتصدعة الهاوية فكان على أهل الإسلام وخاصة أهل السنة والجماعة بيان الحق وسل سيف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ولما كان أمر هذه الأمة لا يعود إلى سابق عهده من عزة وانتصار إلا بتصفية عقائدهم مما علق بها من شوائب الدخن الباطل كان لزاماً فضح موارد ومظان هذا الدخن.

وبحمد الله عز وجل وطمعاً في تحصيل ما حصله السلف من فضائل عزيزة فإني جعلت همي في باكورة انتاجي: تجلية الستار عن مسائل عقدية نسبت إلى الإسلام زوراً وبهتاناً وعن كتب غررت بالمسلمين طويلاً.

فكان هذا النتاج وهو نقد لشرح جوهرة التوحيد للبيجوري المسمى تحفة المرید، وسميت كتابي - الرد الأثري المفيد

"1" على البيجوري في شرح جوهرة التوحيد - وقد تحريت فيه عقيدة أهل السنة والجماعة ومناهج وعلومهم وأستدلالاتهم ولا أزعج الكمال ولا القرب منه والتقصير مني محقق، وأسأل الله العظيم المغفرة والهداية والقبول.

وكتب
أبو قتادة
عمان / الأردن
26 / شوال / 1407 هـ

الأشعرية وكلام الله تعالى

البيجوري أستاذ الأشاعرة في عصرنا ومعلمهم عقائد السلف كما يبين في شرحه لجوهرة التوحيد يفيض

"1" هذه الطبعة الثانية عام 1412 هـ تهذيب يسير للأصل بعنوان: ملاحظات على البيجوري في شرح جوهرة التوحيد.
"2" وأخذت هذه الملاحظات من الأصل وطبعت 1412 هـ

ويسهب في شرح عقيدته في كلام الله تعالى، وهو عودة منه إلى طامة كبرى له تعالى:

مرت على المسلمين في الأزمان السالفة التي دخلت فيها علينا عقائد اليونان ونفاياتهم وعقائد الهندوس وضلالاتهم باسم الإسلام وعقيدة المسلمين.

فما هي عقيدة البيجوري ومن قبله اللقاني ومن شايعهم من الأشاعرة في كلام الله تعالى:

يقول اللقاني ناظم الجوهرة:

ونزه القرآن أي كلامه
عن الحدوث واحذر
فكل نص للحدوث دلاً
إحتمل عن اللفظ الذي
انتقامه
قد دلاً "1"

ويشرح البيجوري هذا النظم بقوله: (أي واعتقد أيها المكلف تنزه القرآن - بمعنى كلامه تعالى - عن الحدوث، خلافاً للمعتزلة القائلين بحدوث الكلام، زعماً منهم أن من لوازمه الحروف والأصوات، وذلك مستحيل عليه تعالى، فكلام الله تعالى عندهم مخلوق، لأن الله خلقه في بعض الأجرام، ومذهب أهل السنة أن القرآن بمعنى الكلام النفسي ليس بمخلوق، وأما القرآن بمعنى اللفظ الذي نقرؤه إلا في مقام التعليم، لأنه ربما أوهم أن القرآن بمعنى كلامه تعالى مخلوق، ولذلك امتنعت الأئمة من القول بخلق القرآن) "2".

ثم قال في شرحه:

فكل نص للحدوث دلاً
إحتمل على اللفظ الذي
قد دلاً

(أي إذا تحققت ما سبق - من التفريق بين اللفظ القرآني والكلام النفسي - فكل نص... إلخ؛ فالفاء فاء الفصيحة، وهذا من باب الحقيقة جواب عما تمسك به المعتزلة من النصوص الدالة على الحدوث مثل: {إننا أنزلناه في ليلة القدر}.. {إننا نحن نزلنا الذكر} والمراد

"1" شرح الجوهرة 93-95
"2" ص 93-94

من النص: الظاهر من الكتاب واليسنة؛ وقوله "للحدوث دلاً" أي دل على حدوث القرآن³.

ثم قال: (والحاصل أن كل ظاهر من الكتاب واليسنة دل على حدوث القرآن، فهو محمول على اللفظ المقروء لا على الكلام النفسي، لكن يمتنع أن يُقال: القرآن مخلوق إلا في مقام التعليم)⁴.

هذه الأقوال تبين لنا مراد البيجوري في عقيدته في كلام الله تعالى، وهو التفريق بين المعنى واللفظ وأن المعنى واللفظ وأن المعنى هو كلام الله تعالى النفسي القديم، وأنه ليس بمخلوق واللفظ القرآني ليس هو كلام الله تعالى بل هو مخلوق وإن كان يصح إطلاق كلام الله عليه ولكن يكون كلام الله هنا مخلوق ولا يقال ذلك إلا في مقام التعليم هذا هو الأمر المراد من كلامه.

أما المراد الثاني: فهو أن كلام الله تعالى نفسي قديم ليس بحرف ولا صوت. وصرح بذلك في موطن آخر حين قال: فقد سمع سيدنا موسى كلام الله القديم وهو ليس بحرف ولا صوت⁵.

ومن عقيدته كذلك في كلام الله تعالى، قوله بأن الله بم يزل متكلماً أزلاً وأبداً⁶.

عقيدة السلف في كلام الله تعالى:

أ) هل التفريق بين المعنى واللفظ معلوم من كلام العرب وهل الكلام يطلق على اللفظ دون المعنى أو العكس؟

الكلام عند النحاة: هو اللفظ المركب المفيد بالوضع.

هذا التعريف لمعنى الكلام يدل بعبارة⁷ على أن الكلام هو ما اجتمع فيه أمران اللفظ والإفادة.

³ ص 95

⁴ شرح الجوهرة 73

⁵ شرح الجوهرة 74

⁶ أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك.

⁷ شرح الجوهرة 74

فالكلام هو الملفوظ المنطوق وفيه دلالة على معنى وبهذا يعلم أن لغة العرب لا تفرق بين اللفظ والمعنى حين إطلاق معنى الكلام.

فقولنا كلام الله تعالى: لا بد فيه من أمرين في لغة العرب اللفظ والإفادة (المعنى) ولا يصح فصل أحد الأمرين عن الآخر إلا لسبب لغوي أو شرعي مقبول وإلا بقي الأمر على أصله.

وهذا المذهب الذي ذكرناه من أن كلام الله تعالى هو ما حوى اللفظ والمعنى، فاللفظ القرآني والمعنى المراد من اللفظ هو كلام الله تعالى على الحقيقة هو مذهب السلف بلا خلاف وما دخل الخلاف إلا عندما دخل الدخن من عقول الفلاسفة ومنطق اليونان.

ومذهب الأشعرية هو مذهب المعتزلة ولكنه متطور بغرابة غير معقولة ولا مفهومة، وهذا يدن الأشاعرة في تلفيق مذهبهم وتوفيقهم بين المتناقضات بما لا يتفق.

فمؤدى مذهب الأشاعرة أن القرآن الذي بين أيدينا مخلوق، وأنه دال على كلام الله وليس هو كلام الله تعالى، لأن كلام الله معني، وليس لفظاً ومعنى، ونفسيّ: ليس بمقروء على الألسن ولا محفوظ في الصدور وليس بمكتوب على الأوراق؛ قديم، ومعنى قولهم قديم أي أن الله عز وجل لم يزل متكلماً أزلاً وأبداً⁸.

بعد هذا الذي بيناه هل في كلام السلف ما يوافقه - وهو أن الكلام لفظ ومعنى حرف وصوت - ؟

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: (وقد نصَّ أئمة الإسلام أحمد ومن قبله من الأئمة أن الله تكلم بالقرآن بحروفه ومعانيه بصوت نفسه كما ثبت بالكتاب والسنة وإجماع السلف، وصوت العبد ليس هو صوت الرب ولا مثل صوته فإن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله وقد نصَّ أئمة الإسلام أحمد ومن قبله من الأئمة على ما نطق به الكتاب والسنة بأن الله ينادي بصوت وأن القرآن كلامه تكلم به بحرفي⁹ وصوت ليس منه شيء كلاماً لغيره لا لجبريل ولا غيره).

⁸ الفتاوى 2/584
⁹ مختصر العلو 284-285

قال أبو المعالي: (كنت يوماً عند الشيخ أبي البيان رحمه الله تعالى فجاءه ابن تميم الذي يدعى الشيخ الأمين، فقال له الشيخ بعد كلام جرى بينهما: ويحك، الحنابلة إذا قيل لهم: ما الدليل على أن القرآن بحرف وصوت؟ قالوا: قال الله تعالى كذا، وقال رسوله كذا، وسرد الشيخ الآيات والأخبار: وأنتم إذا قيل لكم: ما الدليل على أن القرآن معنى قائمه في النفس؟ فليتم: قال الأخطل "إن الكلام لفي الفؤاد" إيشن هذا الأخطل!!! نصراني خبيث بنتم مذهبكم على بيت شعر من قوله وتركتم الكتاب والسنة" ¹⁰.

وقال أبو أحمد الأسفرائيني: (مذهبي ومذهب الشافعي رحمه الله تعالى وجميع علماء الأمصار أن القرآن كلام الله ليس بمخلوق، ومن قال مخلوق فهو كافر، وأن جبرائيل عليه السلام سمعه من الله عز وجل وحمله إلى محمد صلى الله عليه وسلم، وسمعه النبي صلى الله عليه وسلم من جبرائيل عليه السلام وسمعه الصحابة رضي الله عنهم من محمد صلى الله عليه وسلم، وأن كل حرف منه كالباء والتاء كلام الله عز وجل ليس بمخلوق) ¹¹.

فالقرآن كلام الله لفظاً ومعنى منزّل غير مخلوق وهو المتلو المسموع والمكتوب في المصاحف.

وتفصيل ذلك على الآتي:

الكلام صفة كمال لأن من يتكلم أكمل ممن لا يتكلم ومن يتكلم بمشيئة وقدرة أكمل ممن يكون الكلام لا إرادياً ليس لهو عليه قدرة ولا له فيه مشيئة ولذلك فالله عز وجل متكلم حقيقة بكلام هو صفة من صفاته العليا حقيقة ويتكلم متى شاء بما شاء ولذلك قال تعالى: {ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه}.

والآية تبين وقت كلام الله سبحانه وتعالى لنبيه موسى عليه السلام وهو إنما كان بعد ما جاء موسى لميقات ربه وليس كما قال البيجوري وأشياعه وسلفه، أن الله عز وجل لم يزل متكلماً أزلاً وأبداً ومعنى كلامه أن الله عز وجل لم يزل ولا يزال أزلاً وأبداً يقول يا موسى يا موسى يا موسى وكلام الله عز وجل يعلم منه أنه حين

¹⁰ اجتماع الجيوش الإسلامية 116
¹¹ جواب أهل العلم والإيمان 79-80

جاء موسى كلمه فهو سبحانه وتعالى لم يزل متكلماً إذا شاء ومشيتته وقعت حين جاء موسى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وأتباع السلف يقولون إن كلام الله قديم أي لم يزل متكلماً إذا شاء، لا يقولون إن نفس الكلمة المعينة قديمة، كندائه لموسى ونحو ذلك)¹²

ومثال ذلك الذي ذكرنا في كتاب الله كثير ومنه قول الله تعالى: {فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهم ربهما ألم أنهكم عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين}. وكقوله تعالى: {وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجياً}.

وقد تكلم الله بلفظه ومعناه بصوت نفسه قال تعالى: {وإن أحد من المشركين استجارك فاجر حتى يسمع كلام الله}. فبين سبحانه وتعالى أن المسموع هو كلام الله تعالى حقيقة وقد سمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم من جبريل عليه السلام الذي سمعه من الله تعالى ونزل به إليه وأسمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه وهو الذي أمره الله عز وجل بإسماعه للمشرك المستجير.

وقولهم أن القرآن دال على كلام الله عز وجل وليس هو كلام الله عز وجل؛ بل ليس فيه إلا المعنى القائم بذات الله واللفظ مخلوق فهذا يردده قوله تعالى: {وإن أحد من المشركين استجارك فاجر حتى يسمع كلام الله} ولم يقل الله عز وجل: (حتى يسمع ما هو عبارة عن كلام الله)، والأصل في الإطلاق الحقيقة كما أشار البيجوري نفسه ص 74.

قال شارح العقيدة الطحاوية: (وحقيقة كلام الله تعالى الخارجية: هي ما يسمع منه أو من المبلغ عنه فإذا سمعه السامع علمه وحفظه، فكلام الله تعالى مسموع له معلوم محفوظ، فإذا قاله السامع فهو مقروء له متلو فإن كتبه فهو مكتوب له مرسوم. وهو حقيقة في هذه الوجوه كلها لا يصح نفيه، والمجاز يصح نفيه، فلا يجوز أن يقال: ليس في المصحف كلام الله، ولا: ما قرأ القارئ كلام الله تعالى وقد قال تعالى: {وإن أحد من المشركين استجارك

¹² الطحاوية 194

فأجره حتى يسمع كلام الله { وهو لا يسمع كلام الله من الله وإنما يسمعه من مبلغه عن الله. والآية تدل على فساد قول من قال: إن المسموع عبارة عن كلام الله وليس هو كلام الله فإنه تعالى قال: {حتى يسمع كلام الله} ولم يقل حتى يسمع ما هو عبارة عن كلام الله، أو حكاية عن كلام الله، وليس فيها كلام الله فقد خالف الكتاب والسنة وسلف الأمة وكفى بذلك ضلالاً" ¹³.

والبيجوري قال هذا الضلال عندما قال: (واعلم أن كلام الله يطلق على الكلام النفسي القديم، بمعنى أنه صفة قائمة بذاته تعالى، وعلى الكلام اللفظي بمعنى أنه خلقه، وليس لأحد في أصل تركيبه كسب، وعلى هذا المعنى يحمل قول عائشة: ما بين دفتي المصحف كلام الله تعالى. وإطلاقه عليهما قيل بالاشتراك، وقيل حقيقي في النفسي، مجاز في اللفظي) ¹⁴.

أما بالنسبة للأمر الآخر الذي كان بينه في كلامه أن الله تعالى لم يتكلم بحرف وصوت ودليله على ذلك لم يفصح عنه وإن كان معلوماً أنه نفي ذلك هو وسلفه وأشياعه مخافة التشبيه.

ومذهب السلف في ذلك هو ما ذكره سابقاً شيخ الإسلام ابن تيمية: (وقد نصَّ أئمة الإسلام أحمد ومن قبله من الأئمة أن الله تكلم بالقرآن بحروفه ومعانيه بصوت نفسه كما ثبت بالكتاب والسنة وإجماع السلف، وصوت العبد ليس هو صوت الرب ولا مثل صوته فإن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله وقد نصَّ أئمة الإسلام أحمد ومن قبله من الأئمة على ما نطق به الكتاب والسنة بأن الله ينادي بصوت وأن القرآن كلامه تكلم به بحرف وصوت ليس منه شيء كلاماً لغيره لا لجبريل ولا غيره) ¹⁵.

والأدلة على ذلك كثيرة من السنن النبوية الشريفة فمنها:

(1) قوله صلى الله عليه وسلم: ((من قرأ حرفاً من كتاب الله تعالى فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا

¹³ الجوهرة 72

¹⁴ مجموع الفتاوى 2/584

¹⁵ رواه الترمذي عن ابن مسعود دون قوله ولا حرف، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه 3075/4

أقول لكم ألم حرف؛ ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف)).

فبين رسول الله صلى الله عليه وسلم أن كتاب الله حروف، وكتاب الله هو كلامه وقد سمي الصحابة آيات الله وكلامه حروفاً، فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: (سمعت هشام بن حزام يقرأ سورة الفرقان فقرأ فيها حروفاً لم يكن نبي الله صلى الله عليه وسلم أقرانها، قال: فأردت أن أساوره وأنا في الصلاة فلما فرغ قلت: من أقرأك هذه القراءة. قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم. قلت: كذبت والله ما هكذا أقرأك رسول الله صلى الله عليه وسلم. فأخذت بيده أقوده فأنطلقت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله إنك أقرأتني سورة الفرقان وإني سمعت هذا يقرأ حروفاً لم تكن أقرأتنيها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اقرأ يا هشام. فقرأ كما كان قرأ. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هكذا أنزلت. ثم قال: اقرأ يا عمر فقرأت فقال: هكذا أنزلت. ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن القرآن نزل على سبعة أحرف فاقروا ما تيسر منه)¹⁶.

والآثار في ذلك كثيرة.

أما أن الله عز وجل يتكلم بصوت وهو ما قدمنا أنه قول السلف من الصحابة رضوان الله عنهم ومن تابعهم فادلته كثيرة منها:

(1) قال البخاري في صحيحه في كتاب التفسير في باب قوله: {وترى الناس سكارى} حدثنا عمر بن حفص حدثنا أبي حدثنا الأعمش حدثنا أبو صالح عن أبي سعيد الخدري قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((يقول الله عز وجل يوم القيامة: يا آدم! فيقول: لبيك ربنا وسعديك. فينادي بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار. قال: يا رب وما بعث النار؟ قال: من كل ألف - أراه - قال: تسعمائة وتسعة وتسعين. فحينئذ تضع الحامل حملها، ويشيب الوليد، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد. فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم فقال النبي صلى الله عليه وسلم: من ياجوج وماجوج تسعمائة وتسع وتسعين.

¹⁶ البخاري (228-6/227) وأحمد (43-1/24,42) والنسائي (2/150-152) وغيرهم.

ومنكم واحد. ثم أنتم في الناس كالشعرة السوداء في جنب الثور الأسود وإني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة، فكبرنا. ثم قال: ثلث أهل الجنة، فكبرنا. ثم قال: شطر أهل الجنة، فكبرنا))¹⁷.

قال البخاري في خلق أفعال العباد: حدثنا داود بن شبيب حدثنا همام حدثنا القاسم بن عبد الواحد حدثني عبد الله بن محمد بن عقيل أن جابر بن عبد الله حدثهم أنه سمع عبد الله بن أنيس رضي الله عنه يقول: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (يحشر العباد فيناديهم بصوت يسمعه من بُعد كما يسمعه من قرب أنا الملك أنا الدين لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة واحد من أهل النار يطلبه بمظلمة)¹⁸.

وقال البخاري قبله: (وفي هذا دليل أن صوت الله لا يشبه أصوات الخلق لأن صوت الله جل ذكره يسمع من بعد كما يسمع من قرب وأن الملائكة يصعقون من صوته فإذا تنادى الملائكة لم يصعقوا وقال الله عز وجل: {فلا تجعلوا لله أندادا}).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (وذلك أن من آمن بما وصف الله به كلامه، فأقر بأنه جميعه كلام الله، وأقر به فلم يكفر بحرف منه، وعلم أن كلام الله أفضل من كل كلام وأن خير الكلام كلام الله، وأنه لا أحسن من الله حديثاً ولا أصدق منه قبيلاً، وأقر بما أخبر الله به ورسوله من فضل بعض كلامه، كفضل فاتحة الكتاب وآية الكرسي وقيل هو إليه أحد ونحو ذلك؛ بل وتفضيل يس وتبارك والآيتين من آخر سورة البقرة؛ بل وتفضيل البقرة وآل عمران وغير ذلك من السور والآيات التي نطقت النصوص بفضلها وأقربانه كلام الله ليس منه

¹⁷ وأخرجه أحمد (33-3/32) ومسلم (202-1/201) ¹⁸ وأخرجه البخاري في الأدب المفرد وأحمد (3/495) والحاكم (2/437-438، 4/574-575) وصححه ووافقه الذهبي. وذكره البخاري في صحيحه معلقاً في كتاب التوحيد وأخرجه الطبراني في الكبير كما في مجمع الزوائد (1/133) وقال الهيثمي فيه عبد الله بن محمد ضعيف أ.ه. قلت: وفي التقريب صدوق في حديثه لين. قال ابن حجر في فتح الباري (1/174) بأن له طريقاً آخر أخرجه الطبراني في مسند الشاميين وتمام في فوائده من طريق الحجاج بن دينار عن محمد بن المنكدر عن جابر بمعناه وقال ابن حجر: إسناده صحيح.

شيء كلاً ماً لغيره لا معانيه ولا حروفه فهو أبعد عن جعله
عِصِينَ) ¹⁹.

مسألة:

سئل شيخ الإسلام رحمه الله عن إمام يقول يوم
الجمعة على المنبر في خطبته: إن الله تكلم بكلام أزلني
قديم... ليس بحروف ولا صوت، فهل تسقط الجمعة خلفه
أم لا؟ وما يجب عليه؟

فأجاب رحمه الله تعالى: (الذي اتفق عليه أهل
السنة والجماعة أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق،
وأن هذا القرآن الذي يقرؤه الناس هو كلام الله، يقرؤه
الناس بأصواتهم، فالكلام كلام الباري، والصوت صوت
القارئ، والقرآن جميعه كلام الله حروفه ومعانيه. وإذا كان
الإمام مبتدعاً، فإنه يصلي خلفه الجمعة، وتسقط بذلك،
والله أعلم) ²⁰.

قال الذهبي رحمه الله تعالى: (وأما داود فقال:
القرآن محدث، فقام على داود خلق من أئمة الحديث
وأنكروا قوله وبدعوه، وجاء من بعده طائفة من أهل
النظر فقالوا: كلام الله معنى قائم بالنفس، وهذه الكتب
المنزلة دالة عليه ودققوا وعمقوا، فنسأل الله الهدى
وإتباع الحق، فالقرآن العظيم حروفه ومعانيه وألفاظه
كلام رب العالمين غير مخلوق وتلفظنا به من أعمالنا
المخلوقة قال النبي صلى الله عليه وسلم: "زينوا القرآن
بأصواتكم" ²¹)

وقال أبو أحمد بن الحسين الشافعي المعروف بابن
الحداد رحمه الله تعالى: (وأن القرآن كلام الله رب
العالمين نزل به الروح الأمين على قلب محمد خاتم
النبيين صلى الله عليه وسلم، أنزله بعلمه والملائكة
يشهدون، وكفى بالله شهيداً، وأنه غير مخلوق، وأن السور
والآيات والحروف والمسموعات والكلمات التامات التي
أعجزت الأنيس والجن على أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم
لبعض ظهيراً ليس بمخلوق كما قال المعتزلي، ولا عبارة

¹⁹ جواب أهل العلم والإيمان 79-80

²⁰ الفتاوى 23/361

²¹ أخرجه أحمد (283، 285، 304) وابن ماجه (1342)
والنسائي (180-2/179) والحاكم (1/573) وأبو داود الطيالسي (738)
وابن حبان (6610-موارد الظمان)

كما قال الكلابي، وأنه المتلو بالألسنة المحفوظ في الصدور، المكتوب في المصاحف، المسموع لفظه، المفهوم معناه، لا يتعدد بتعدد الصدور والمصاحف والآيات، ولا يختلف باختلاف الحناجر والنغمات²².

فمن أين للبيجوري وأساتذته وتلاميذه هذه العقيدة في كلام الله تعالى؟

قال شارح العقيدة الطحاوية: بعد سرده هذا القول - وهو أن الكلام معنى نفسي قديم واللفظ المعبر عنه مخلوق - (وهنا معنى عجيب، وهو أن هذا القول له شبه قوي بقول النصارى القائلين باللاهوت والناسوت! فإنهم يقولون: كلام الله هو المعنى القائم بذات الله الذي لا يمكن سماعه، وأما النظم المسموع فمخلوق، فافهام المعنى القديم بالنظم المخلوق يشبه امتزاج اللاهوت بالناسوت الذي قالته النصارى في عيسى عليه السلام، فانظر إلى هذا الشبه ما أعجبه)²³.

ولا تنسَ أخي القارئ احتجاج البيجوري وأمثاله على عقيدته بأن الكلام هو المعنى النفسي القديم القائم بالذات بقول الأخطل النصراني المولد:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما
جُعِلَ اللسان على
الفؤاد دليلاً

²² اجتماع الجيوش الإسلامية 104
²³ الطحاوية 198

البيجوري وحديث الآحاد

البيجوري من قوم لا يحتجون لعقائدهم إلا بالمتواتر لأنها قطعية بزعمهم، ولا يقبلون حديث الآحاد لأنه يفيد الظن فقط، وهؤلاء القوم يزعمون التوقي لدينهم من الدخن والتحرز من اعتقاد الخطأ.

والعجيب أن البيجوري الذي يرى أن الكشف أعلى درجات الأدلة في إثبات العقائد كما فصلنا في ذلك في بابه يرفض الأحاديث النبوية الأحادية ويزعم أنها لا تصلح دليلاً للاحتجاج.

فهو يرفض حديث النبي صلى الله عليه وسلم النصي أن والده في جهنم لأنه حديث آحاد، وهو يرفض حديث إطالة الأجل بصلة الرحم لأنه حديث آحاد ولا يجزم أن للأنبياء أحواض لأنها أحاديث آحاد¹.

وهذه المسألة هي من المسائل التي ظهرت عندما نبتت نابتة السوء في تأريخ الإسلام فدخلت آثار اليونان ونفايات السابقين إلى أمتنا فصارت مسلمة لا شبهة فيها حتى زعم أقوام أن الإجماع قد انعقد على أن العقائد لا يقبل فيها إلا بالمتواتر.

¹ انظر شرح الجوهرة ص 29 - 160 - 184.

قال الشيخ شلتوت: (نصوص العلماء المتكلمين وأصوليين مجتمعة على أن خبر الأحاد لا يفيد اليقين فلا تثبت به العقيدة ونجد المحققين من العلماء يصفون ذلك بأنه ضروري لا يصح أن ينازع أحد في شيء)².

فعندما بلغ الأمر بهذه الأمة إلى هذه الحالة، وصار أمر أعلامها وعلمائها إلى تقليد السابقين وترك النصوص والآثار، تغيرت العقائد ومسخت أصول الإسلام، فصار المنطق اليوناني دثار الأصوليين ومهوى مرادهم.

وهذا الأمر - وهو ترك الاحتجاج بحديث الأحاد في العقائد - صرف الناس عن طريق الهدى والصواب، فتحجمت العقيدة، وقلص التوحيد، فصار أهل الكلام يملؤون مداخل العقيدة بأرائهم وتناج عقولهم وأهوائهم فخرج الحق من نصله وحل الخبيث بدلاً منه، ولعل قارئ شرح جوهرة التوحيد للبيجوري يرى ذلك واضحاً جلياً.

ولأهمية هذه الردود على المذاهب الدخيلة التي تزيت بزى الإسلام وعقيدته فإننا نقتصر على الإجابة بالأدلة النقلية النصية وباقوال أهل العلم الموثقين المقبولين بإجماع أهل الأمة.

تحقيق المسألة:

التواتر في لغة القرآن والعرب التابع قل أو كثر قال تعالى: {ثم أرسلنا رسلنا تترأ كل ما جاء أمة رسولها كذبوه}.

والمعنى أن الرسل تابعت إلى أممها وتواترت إليها.

قال الشوكاني: (والمتواتر لغة عبارة عن مجيء الواحد بعد الواحد بفترة بينهما مأخوذ من الوتر)³.

وفي الاصطلاح: (خير جمع عن جمع محسوس يمنع تواطؤهم على الكذب)⁴.

² الإسلام عقيدة وشريعة 74 - 76.

³ الإرشاد 46.

⁴ المرجع السابق.

وقيل: هو ابن يرويه جماعة عن جماعة مثلها من أول طريقه إليهم قرنا فقرنا حتى يصل من الصادر منه إلى المرفوع إليه.

والآحاد: هو ما لم يوجد على صفة المتواتر.

ولا يظن ظان أن الآحاد ما رواه الواحد عن واحد إلى النبي صلى الله عليه وسلم؛ فليس هذا المراد وإن عُد من الآحاد.

والمتواتر: عندهم هو أن يبلغ العدد مبلغاً من غير العادة تواطؤهم على الكذب ولا يُقيد ذلك بعدد معين.

والمسألة كما هي معروضة واضحة دائرة حول حصول الاطمئنان القلبي، فهي في الأصل شاء المنكرون أم أبوا تعود إلى نفس الشخص السامع وحاله لا إلى ضابط صحيح.

وما دام أن المسألة تعود إلى السامع فقد يحصل الاطمئنان واليقين في نفس السامع بخبر الواحد فقط لاعتقاده بصدقه وقد لا يحصل الاطمئنان واليقين بخبر جماعة كثيرة لتردده وتوارد وساوسه.

ولعل إدراكنا لهذا الأمر يكشف لنا عن حقيقة أصل هذه البدعة - وهي رفض حديث الآحاد في العقيدة - وهو أن أقواماً ظنوا أن الحقائق هي ما وجدوه من نفايات اليونان؛ فوجدوا أن هذه الحقائق كما زعموا تخالف ما ورد من كتاب الله وسنة رسوله سواء أكانت هذه المسائل في الإلهيات أم في غيرها فانتحلوا الأسباب والدلائل لردها لحصول الشك لديهم في هذه النصوص فابتدع لهم شيطانهم هذه المقالة.

قال ابن القيم: (وأعلم أن خبر الواحد وإن كان يحتمل الصدق والكذب والظن وللتجوز فيه مدخل؛ ولكن هذا الذي قلناه - وهو أن الحديث بنفسه يفيد العلم - لا يناله أحد إلا بعد أن يكون معظم وقته مشتغلاً بالحديث والبحث عن سيرة النقلة والرواة ليقف على رسوخهم في هذا العلم وكبير معرفتهم به وصدق ورعهم في أقوالهم وأفعالهم وشدة حذرهم من الطغيان والزلل وما بذلوه من شدة العناية في تمهيد هذا الأمر والبحث عن أحوال الرواة والوقوف على صحيح الأخبار وسقيمتها وكانوا بحيث لو

قتلوا لم يسامحوا أحداً في كلمة واحدة يتقولها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا فعلوا هم بأنفسهم ذلك وقد نقلوا هذا الدين كما نقل إليهم وأدوا كما أدى إليهم وكانوا في صدق العناية والاهتمام بهذا الشأن ما يجل عن الوصف ويقصر دونه الذكر وإذا وقف المرء على هذا في شأنهم وعرف أحوالهم وخبر صدقهم وورعهم وأمانتهم ظهر له العلم فيما نقلوه ورووه⁵ .

ولآن أهل الحديث هم أدري الناس بكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو أعلم أمة محمد صلى الله عليه وسلم بما يفيد الأطمئنان واليقين من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وما لا يفيد ذلك فقد حاول الخصوم إخراج هؤلاء الزمرة من ساحة المحاوراة ليخلو لهم الجو فينشروا بضاعتهم الفجة ويوردها الناس بلا مدافع ولذلك قالوا: (وبعدما تبين اختصاص كل علم بموضوعه يتضح أن تحقيق مسألة عدم جواز الاستدلال بحديث الأحاد في العقيدة إنما يكون في علم أصول الفقه ولا تعلق له بالمسائل الفقهية والحديثية إلا من حيث التمثيل والتوضيح؛ بل هي التي لها علاقة بعلم الأصول أو لم يبنوا بحث هذه المسألة على الأسس الأصولية يكون بحثهم ناقصاً غير واضح وبالتالي لا يعتد بأرائهم وأقوالهم في هذا الموضوع)⁶ .

وبياناً لهذا المعنى يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: (كون الدليل من الأمور الظنية أو القطعية أمر نسبي يختلف باختلاف المدرك المستدل ليس هو صفة للدليل في نفسه فهذا أمر لا ينازع فيه عاقل فقد يكون قطعياً عند زيد ما هو ظني عند عمرو فقولهم إن أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيحة المتلقاة بين الأمة بالقبول لا تفيد العلم؛ بل هي ظنية هو إخبار عما عندهم إذ لم يحصل لهم من الطرق التي استفاد بها العلم أهل السنة ما حصل لهم فقولهم لم نستفد بها العلم لم يلزم منها النفي العام على ذلك بمنزلة الاستدلال على أن الواجد للشيء العالم به غير واجد له ولا عالم به فهو كمن يجد من نفسه وجعاً أو لذة أو حياً أو بغضاً فينتصب له من يستدل على أنه غير وجع ولا متألم ولا محب ولا مبغض ويكثر له من الشبه التي غايتها أني لم أجد ما وحدته ولو كان حقاً لا شتركت أنا وأنت في وهذا عين الباطل وأحسن ما قيل:

⁵ مختصر الصواعق المرسله 2/409 - 410.

⁶ الاستدلال الظني في العقيدة 11.

أقول للائم المهدي ملامته ذق الهوى وإن
استطعت الملام لم

فيقال له: اصرف عنايتك إلى ما جاء به الرسول
صلى الله عليه وسلم والحرص عليه وتتبعه وجمعه
ومعرفة أحوال نقلته وسيرتهم وأعراض عما سواه واجعله
غاية طلبك ونهاية مقصدك؛ بل احرص عليه حرص أتباع
أرباب المذاهب على معرفة مذاهب أئمتهم بحيث حصل
لهم العلم الضروري بأنها مذاهبهم وأقوالهم ولو أنك ذلك
عليهم منكر لسخروا منه، وحينئذ تعلم هل تفيد أخبار
رسول الله صلى الله عليه وسلم العلم أولاً تفيده فاما مع
إعراضك عنها وعن طلبها فهي لا تفيدك علماً، ولو قلت: لا
تفيدك أيضاً طناً لكنت مخبراً بحصتك ونصيبك منها⁷.

أقوال الأئمة في هذا المسألة:

ذكر كثير من أهل العلم الإجماع السلفي على قبول
حديث الآحاد في العقائد وأنه يفيد العلم كما أنه يفيد
العمل.

قال السفاريني في لوامع الأنوار البهية: (يعمل بخبر
الآحاد في أصول الدين، وحكى الإمام ابن عبد البر الإجماع
على ذلك)⁸.

وقال الإمام الشافعي رحمه الله: (ولم يزل سبيل
سلفنا والقرون بعدهم إلى من شاهدنا هذه السبيل (أي
ثبتت بخبر الواحد)⁹، وقال رحمه الله: (ولو جاز لأحد أن
يقول في علم الخاصة: أجمع المسلمون قديماً وحديثاً
على تثبيت خبر الواحد والانتفاء إليه، بأنه لم يعلم من
فقهاء المسلمين أحد إلا وقد ثبتته جاز لي. ولكني أقول: لم
أحفظ عن فقهاء المسلمين أنهم اختلفوا في تثبيت خبر
الواحد، بما وصفت من أن ذلك موجوداً على كلهم)¹⁰.

قال ابن القيم رحمه الله: (وقد صرح الشافعي في
كتبه بأن خبر الواحد يفيد العلم، نص على ذلك صريحاً في
كتاب اختلاف مالك).

⁷ مختصر الصواعق 2/432 - 433.

⁸ 1/19.

⁹ الرسالة 453.

¹⁰ الرسالة 457 - 458.

وفي كتاب المسبودة قال أبو بكر المروزي: (قلتُ لأبي عبد الله - الإمام أحمد -: ههنا إنسان يقول: إن الخير يوجب عملاً ولا يوجب علماً، فعابه وقال: ما أدري ما هذا).

قال المؤلف: (وظاهر هذا أنه سوى فيه بين العمل والعلم)¹¹.

وقال السفاريني: (نقل أحمد بن جعفر الفارسي في كتاب الرسالة عن الإمام أحمد رضي الله عنه أنه قال: لا نشهد على أحد من أهل القبلة أنه في النار لذنب عمله ولا لكبيرة أتاها إلا أن يكون ذلك في حديث كما جاء نصده أنه كما جاء فقوله: ونعلم أنه كما جاء نص صريح في أن هذه الأحاديث تفيد العلم عنده)¹².

قال الشوكاني: (وقال أحمد بن حنبل أن يفيد بنفسه العلم)¹³.

وقال: (وحكاه ابن جواز منداد عن مالك بن أنس واختاره)¹⁴.

وقال ابن حزم: (وقد ثبت يقيناً أن خير الواحد العدل عن مثله مبلغاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حق مقطوع به موجب للعمل والعلم معاً)¹⁵.

وقال ابن أبي العز الحنفي: (وخبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول، عملاً به وتصديقاً له يفيد العلم اليقيني عند جماهير الأمة، وهو أحد قسمي المتواتر. ولم يكن بين سلف الأمة نزاع في ذلك كالأحاديث المتفق عليها بين الصحيحين: كخبر عمر إنما الأعمال بالنيات. وخبر ابن عمر رضي الله عنهما "نهى عن بيع الولاء وهبته". وخبر أبي هريرة: ولا تنكح المرأة على عمتها ولا خالتها، وكقوله: يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وأمثال ذلك)¹⁶.

وفي فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية أنه يجب العمل بالأحاديث الصحيحة التي لا يعلم لها معارض يدفعها وهي

¹¹ المسبودة 242.

¹² لوامع الأنوار البهية 1/18.

¹³ الإرشاد 48.

¹⁴ انظر الأحكام 1/119.

¹⁵ الأحكام 1/124.

¹⁶ شرح العقيد الطحاوية 399 - 400.

تنقسم إلى ما دلّيته قطعية بأن يكون قطعي السند والمتن وهو ما تيقنا أن رسول الله قاله وتيقنا أنه أراد به تلك الصورة وإلى ما دلّيته ظاهرة غير قطعية.

فأما الأول فلا خلاف بين العلماء في الجملة أنه يجب اعتقاد موجهة علماً وعملاً...

وقد اختلفوا في خير الواحد الذي تلقته الأمة بالقبول والتصديق أو الذي اتفقت على العمل به، فعند عامة الفقهاء وأكثر المتكلمين أنه يفيد العلم وذهب طوائف من المتكلمين إلى أنه لا يفيد... وأما القسم الثاني وهو الظاهر فهذا يجب العمل به في الأحكام الشرعية باتفاق العلماء المعبرين فإن كان تضمن حكماً علمياً مثل الوعيد ونحوه فقد اختلفوا فيه فذهب طوائف من الفقهاء إلى أن خبر الواحد العدل إذا تضمن وعيداً على فعل فإنه يجب العمل به في تحريم ذلك الفعل ولا يعمل به في الوعيد إلا أن يكون قطعياً وكذلك لو كان المتن قطعياً لكن الدلالة ظاهرة. وذهب الأكثر من الفقهاء وهو قول عامة السلف إلى أن هذه الأحاديث حجة في جميع ما تضمنته من الوعيد فإن أصحاب رسول الله والتابعين من بعدهم ما زالوا يثبتون بهذه الأحاديث الوعيد كما يثبتون بها العمل¹⁷

وقال رحمه الله: (ومن الحديث الصحيح ما تلقاه المسلمون بالقبول فعملوا به فهذا يفيد العلم ونجزم بأنه صدق لأن الأمة تلقته بالقبول تصديقاً وعملاً بموجهة والأمة لا تجتمع على ضلالة)¹⁸.

ويقول كذلك: (فالخير الذي رواه الواحد من الصحابة والاثان إذا تلقته الأمة بالقبول والتصديق أفاج العلم عند جماهير العلماء ومن الناس من يسمي هذا المستفيض، والعلم هنا حصل بإجماع العلماء على صحته فإن الإجماع لا يكون على خطأ ولهذا كان أكثر متون الصحيحين مما يعلم صحته عند علماء الطوائف من الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية والأشعرية وإنما خالف في ذلك فريق من أهل الكلام)¹⁹.

¹⁷ مجموع الفتاوى 20/257 - 268.

¹⁸ مجموع الفتاوى 18/16.

¹⁹ مجموع الفتاوى 18/70.

قال الشوكاني: (ولا نزاع في أن خبر الواحد إذا وقع الإجماع على العمل بمقتضاه فإنه يفيد العلم لأن الإجماع عليه قد صيره من المعلوم صدقه، وهكذا خبر الواحد إذا تلقت الأمة بالقبول فكانوا بين عامل به ومتأول له ومن هذا القسم أحاديث الصحيحين فإن الأمة قد تلقت ما فيها بالقبول)²⁰.

قال ابن حزم: (قال أبو سليمان والحسين بن علي الكرابيسي والحارث بن أسد المحاسبي: إن خبر الواحد العدل عن مثله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوجب العلم والعمل جميعاً)²¹.

وقال ابن تيمية رحمه الله: (وهو قول المنصفين من أصحاب أبي حنيفة، ومالك والشافعي وأحمد، إلا فرقة قليلة من المتأخرين اتبعوا في ذلك طائفة من أهل الكلام أنكروا ذلك).

وقال: (وأهل الحديث والسلف على ذلك، وهو قول أكثر الأشعرية، كابي إسحاق وابن فورك).

وقال: (وهو قول أبي حامد وأبي الطيب وأبي إسحاق من الشافعية، وقول القاضي عبدالوهاب من المالكية، وهو قول السرخسي وأمثاله من الحنفية، وإذا كان الإجماع على تصديق الخبر موجباً للقطع به فالاعتبار في ذلك بإجماع أهل العلم والحديث)²².

قال أبو إسحاق الإسفراييني: (أهل الصنعة مجمعون على أن الأخبار التي أشتمل عليها الصحيحان مقطوع بصحة أصولها ومتونها، ولا يحصل الخلاف فيها بحال، وإن حصل فذاك اختلاف في طرقها ورواتها؛ قال: فمن خالف حكمه خبراً منها وليس له تأويل سائغ للخبر، نقضنا حكمه، لأن هذه الأخبار تلقتها الأمة بالقبول)²³.

وقال ابن حجر: (الخبر المحتف بالقرائن قد يفيد العلم خلافاً لمن أبى ذلك)²⁴.

²⁰ إرشاد الفحول 50.

²¹ الأحكام 1/119.

²² مجموع الفتاوى 13/351 - 352.

²³ قواعد التحديث للقاسمي 85.

²⁴ شرح النخبة 7.

هذه أقوال لأساطين العلم وجهابذة الفتوى يرون أن حديث الأحاد يفيد العلم والعمل وأن هذه الأحاديث كما توجب العلم والعمل كذلك هي حجة في العقائد والتصورات والزعْم بخلاف ذلك أمر محدث بدعي لم يعلم عند السلف السابقين.

قال ابن حزم: (وقد أوجب الله تعالى على كل طائفة إنذار قومها وأوجب على قومها قبول نذارتهم بقوله تعالى: {ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون} فقد حذر تعالى من مخالفة نذارة الطائفة - والطائفة في اللغة تقع على بعض الشيء كما قدمنا - ولا يختلف اثنان من المسلمين في أن مسلماً ثقة لو دخل أرض الكفر فدعا قوماً إلى الإسلام وتلا عليهم القرآن وعلمهم الشرائع لكان لزاماً عليهم قبوله ولكانت الحجة عليهم بذلك قائمة وكذلك لو بعث الخليفة أو الأمير رسولاً إلى ملك من ملوك الكفر أو أمة من أمم الكفر يدعوهم إلى الإسلام ويعلمهم القرآن وشرائع الدين ولا فرق وما قال قط مسلم أنه كان حكام أهل اليمن أن يقولوا لمعاد ولمن بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعقد الإيمان حق عندنا؛ ولكن ما أفتيتنا به وعلمتنا من أحكام الصلاة ونوازل الزكاة وسائر الديانة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وما أقرأتنا من القرآن عنه عليه السلام فلا نقبله منك ولا نأخذه عنك لأن الكذب جائز عليك ومتوهم منك حتي يأتينا لكل ذلك كواف وتواتر؛ بل لو قالوا ذلك لكانوا غير مسلمين، وكذلك لا يختلف اثنان في أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما بعث من بعث من رسوله إلى الأفاق لينقلبوا إليهم عنه القرآن والسنن وشرائع الدين، وأنه عليه السلام لم يبعثهم إليهم ليشرعوا لهم ديناً لم يات هو به عن الله تعالى. فصح بهذا كله أن كل ما نقله الثقة عن الثقة مبلغاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرآن أو سنن ففرض قبوله والإقرار به والتصديق به واعتقاده والتدين به) ²⁵.

وقال رحمه الله: (ومن البرهان في قبول خبر الواحد: خبر الله تعالى عن موسى عليه السلام أنه قال له رجل: إن الملائمة بك ليقتلوك فصدقه وخرج فاراً وتصديقه المرأة في قولها: {إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا} فمضى معها وصدقها) ²⁶.

²⁵ الأحكام 1/112 - 113.

²⁶ الأحكام 1/118.

حكم منكر أحاديث الآحاد:

قال الشيخ عمر الأشقر: (ذهب الإمام إسحاق بن راهويه إلى القول بكفره والصحيح أنه لا يكفر لأنه لا يكذب الرسول صلى الله عليه وسلم وإنما يتهم الرواة الذين نقلوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغلط ولعل الذين ذهبوا إلى القول بكفره نظروا إلى الأحاديث المجمع على صحتها أو التي تلقتها الأمة بالقبول وليس معنى عدم القول بتكفيره أنه مسلم؛ لا بل يخشى على مثل هذا أن يصيبه الله بعقاب لأنه أعرض عن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم والله يقول: {فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم} ونقول لمثل هذا كما قال الشافعي رحمه الله ليس لك أن تشك في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم التي رواها الثقات العدول فهذه الأحاديث أصل الدين والمدين محفوظة إلى نهاية الزمان)¹.

وأما من رأى أن السنة بالكلية لا تصلح دليلاً للعقائد واليقينات ويزعم أنه لا يرضى إلا بكتاب الله عز وجل فهو كافر كما أفتى به كثير من العلماء:

قال السيوطي: (فاعلموا رحمكم الله أن من أنكر كون حديث النبي صلى الله عليه وسلم قولاً كان أو فعلاً بشرطه المعروف في الأصول حجة كفر وخرج من دائرة الإسلام وحشر مع اليهود والنصارى أو مع من شاء الله من فرق الكفرة).

روى الإمام الشافعي رضي الله عنه يوماً حديثاً وقال إنه صحيح فقال له قائل: أتقول به يا أبا عبد الله؟ فأضطرب وقال: يا هذا أرايتني نصرانياً؟ أرايتني خارجاً من كنيسة؟ أرايت في وسطي زنجاراً؟ أروي حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أقول به؟².

وقال ابن حزم: (ولو أن امرءاً قال: لا نأخذ إلا ما وجدنا في القرآن لكان كافراً بإجماع الأمة، ولكن لا يلزمه إلا ركعة ما بين دلوك الشمس إلى غسق الليل وأخرى عند الفجر لأن ذلك هو أقل ما يقع عليه اسم صلاة ولا حد

¹ الاعتقاد 88.

² مفتاح الجنة 6.

لِلأَكْثَرِ فِي ذَلِكَ وَقَائِلُ هَذَا كَافِرٌ مَشْرُكٌ حَلَالُ الدَّمِ وَالْمَالِ

البيجوري ومفهوم الإيمان

يقول اللقاني:

وفسر الإيمان بالتصديق ¹ والتحقق ¹ والنطق فيه الخلف

وفسر البيجوري هذا النظم بقوله: (إن الإيمان هو مطلق التصديق، والإيمان والعمل الصالح متغايران، ومن صدق بقلبه ولم يتفق له الإقرار في عمره لا مرة ولا أكثر

³ الإحكام 2/80.
¹ الشرح 42.

من مرة مع القدرة على ذلك فهو مؤمن² عند الله تعالى؛ ولكنه شرط في إجراء الأحكام الدنيوية³.

قال: (والراجح أن الإيمان هو التصديق وهو غير الجزم)³.

هل الإيمان هو التصديق فقط؟!!!

إن القول أن الإيمان هو التصديق خطأ كبير، ذلك لأن فيه اقتصاراً على المعنى اللغوي فقط، والإسلام قد أضاف للألفاظ معانٍ شرعيةً زيادةً على المعاني اللغوية، مع أن الإيمان في بعض وجوه الأصل اللغوي تفيد العمل⁴.

مع أن هناك اعتراض على قولهم بأن الإيمان في اللغة عبارة عن التصديق بمنع المترادف بين التصديق والإيمان، وهب أن الأمر يصح في موضع، فلم قلت إنه يوجب المترادف مطلقاً؟ وكذلك اعترض على دعوى الترادف بين الإسلام والإيمان.

ووما يدل على عدم الترادف:

أنه يقال للمخبر إذا صدق: صدّقه، ولا يقال آمنه ولا آمن به؛ بل يقال آمن له، كما قال تعالى: {فأمن له لوط}، {فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على خوف}، وقال تعالى: {يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين}. ففرق بين المعدّي بالباء والمعدّي باللام، فالأول يقال للمخبر به، والثاني للمخبر. ولا يرد كونه يجوز أن يقال: ما أنت بمصدق لنا، لأن دخول اللام لتوقية العامل، كما إذا تقدم المعمول، أو كان العامل اسم فاعل، أو مصدرًا⁵.

فاقتصار الإيمان على التصديق فقط اقتصار مرفوض، ذلك لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أوقفنا على معاني الإيمان وعلمنا من مراده علماً ضرورياً أن من قيل إنه صدق ولم يتكلم بلسانه بالإيمان مع قدرته على ذلك ولا صلى ولا صام ولا أحب الله ورسوله ولا خاف

² الشرح 46 - 51.

³ الشرح 34.

⁴ انظر شرح الطحاوية 338.

⁵ الطحاوية 338.

الله؛ بل كان مبيغضاً للرسول معادياً له يقاتله: أن هذا ليس بمؤمن .

ومن هنا التصديق لا يطلق على المعنى المجرد عن اللفظ ولذا لم يجعل الله أحداً مصدقاً للرسول بمجرد العلم والتصديق الذي في قلوبهم حتى يصدقوهم بالسنتهم ولا يوجد في كلام العرب أن يقال فلان صدق فلانا أو كذبه إذا كان يعلم بقلبه أنه صادق أو كاذب ولم يتكلم بذلك⁷.

وقد نفى الله الإيمان عن صدق بقلبه ولم ينطقها بلسانه فقال سبحانه: {وما هم بمؤمنين}. وقد بين الله سبحانه حال أقوام صدقوا بقلوبهم وأبوا أن يقروا بالسنتهم بأنهم كفرة مكذبين للرسول وللحق قال سبحانه: {الذين أتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون}.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (والمشاهد أن هناك خلقاً من الكفار يعرفون في الباطن أن دين الإسلام حق ويذكرون ما يمنعه من الإيمان إما معادة أهلهم وإما ما لا يحصل من جهتهم يقطعونه عنهم وإما خوفهم إذا أمنوا أن لا يكون لهم حرمة عند المسلمين كحرمتهم في دينهم قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّ مِنْهُمْ إِنْ لَمْ يَكُنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ فَيَتَوَلَّوْا فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُضْحِكُوا عَلَىٰ مَا اسْتَفْتَوْا فِي أَنفُسِهِمْ تَادِمِينَ} * وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهْلَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْبَلْتُمُوهُم بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَاصْبِرُوا خَاسِرِينَ})⁸.

والمفسرون متفقون على أنه نزلت بسبب قوم ممن كان يظهر الإسلام وفي قلبه مرض وخاف أن يغلب أهل الإسلام فيوالي الكفار من اليهود والنصارى وغيرهم للخوف الذي في قلوبهم لا لاعتقادهم أن محمداً كاذب واليهود والنصارى وغيرهم للخوف الذي في قلوبهم لا لاعتقادهم أن محمداً كاذب واليهود والنصارى صادقون فقد روي أن عبادة بن الصامت قال: (يا رسول الله إن لي

⁶ شرح الطحاوية 339، وبمثلها يقول شيخ الإسلام رحمه الله في كتاب الإيمان 112.

⁷ الإيمان 113.

⁸ المائدة 51 - 53.

موالي من اليهود واني أبرأ إلى الله من ولاية يهود)، فقال عبدالله بن أبي: (لكنني رجل أخاف الدوائر ولا أبرأ من ولاية يهود)، فنزلت هذه الآية⁹.

وبقولهم إن الإيمان هو التصديق فقط إخراج للأعمال منه، وهو قول باطل:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (لقد غلط المرجئة في أصلين أحدهما ظنهم أن الإيمان مجرد تصديق وعلم فقط ليس معه عمل وحال وحركة وإرادة ومحبة وخشية في القلب، فإن أعمال القلوب كلها فيها مما فرضه الله ورسوله فهو من الإيمان الواجب، وفيها ما أحبه الله ولم يفرضه فهو من الإيمان المستحب، فالأول لابد لكل مؤمن منه، ومن اقتصر عليه فهو من الأبرار أصحاب اليمين، والثاني للمقربين السابقين وذلك مثل حب الله ورسوله؛ بل أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما؛ بل أن يكون الله ورسوله والجهاد في سبيله أحب إليه من أهله وماله، ومثل خشية الله وحده من دون خشية المخلوقين، ورجاء الله وحده دون رجاء المخلوقين، والتوكل على الله وحده دون المخلوقين، والإنابة إليه مع خشيته، كما قال تعالى: {هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ، من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب}.

والثاني من غلط المرجئة ظنهم أن كل من حكم الشارع بأنه كافر مخلد في النار فإنما ذلك لأنه لم يكن في قلبه شيء من العلم والتصديق، وهذا أمر خالفوا به الحس والعقل والشرع، فإن الإنسان قد يعرف أن الحق مع غيره ومع ذلك يحسد ذلك لحسده إياه أو لطلب علوه عليه أو لهوى في النفس وهو في قلبه يعلم أن الحق معه وعامة من كذب الرسل علموا أن الحق معهم وأنهم صادقون ولكنهم يكذبون إما لحسدهم وإما لإرادتهم العلو والرئاسة، وإما لحبهم لدينهم الذي كانوا عليه، فيكونون بذلك من أكفر الناس كأبليس وفرعون مع علمهم بأنهم على الباطل والرسول إنما معتمد عليهم على مخالفة أهوائهم كقولهم لنوح: {أنؤمن لك واتبعك الأذليون} ومعلوم أن اتباع الأذلين له لا يقدر في صدقه ومثل قول فرعون: {أنؤمن لبشر مثلنا وقومهم لنا عابدون} ومثل قول عامة المشركين: {إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون} وهذه الأمور وأمثالها ليست حججاً تقدر في صدق الرسل؛ بل تبين أنها تخالف إرادتهم وأهوائهم

⁹ الإيمان 140 - 141.

وعاداتهم، فلذلك لم يتبعوهم وهؤلاء كلهم كفار؛ بل أبو طالب وغيره كانوا يحبون النبي صلى الله عليه وسلم ويحبون علو كلمته وليس عندهم حسد له ولكن كانوا يعلمون أن في متابعتهم فراق دين آبائهم وذم قريش لهم فما احتملت نفوسهم ترك العادة واحتمال هذا الذم فلم يتركوا الإيمان لعدم العلم؛ بل لهوى النفس، فكيف يقال إن كل كافر إنما كفر لعدم علمه بالله¹⁰.

وقال رحمه الله: (وقد كفر السلف كوكيع بن الجراح وأحمد بن حنبل وغيرهما من يقول بهذا القول (إن الإيمان هو التصديق فقط) وقالوا: إبليس كافر ينص القرآن، وإنما كفر باستكباره وامتناعه عن السجود لادم لا لكونه كذب خبرا، وكذلك فرعون وقومه قال الله تعالى فيهم: {وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً} وقال موسى عليه السلام لفرعون: {لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر} فدل على أن فرعون كان عالماً بأن الله أنزل الآيات وهو من أكبر خلق الله عناداً وبغياً لفساد إرادته وقصده لا لعدم علمه¹¹).

وقال رحمه الله: (لقد تبين أن الإيمان إذا أطلق في القرآن والسنة يُراد به ما يراد بلفظ البر والتقوى ولفظ الدين، فإن النبي صلى الله عليه وسلم يبين أن الإيمان بضع وسبعون شعبة أفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، فكان كل ما يحبه الله يدخل في اسم الإيمان، وكذلك لفظ البر يدخل فيه جميع ذلك إذا أطلق وكذلك لفظ التقوى وكذلك الدين أو دين الإسلام)¹².

أما قول البيجوري إن التصديق لا يعني الجزم فهو يعني عنده أن المؤمن لا يجزم بما آمن به والله عز وجل يقول: {إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا} فاشتراط سبحانه في صدق إيمانهم كونهم لم يرتابوا ولم يشكوا.

وفي الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقي الله بهما عبد غير شك فيهما فيحجب عن الجنة)).

¹⁰ الإيمان 138 - 140.

¹¹ الإيمان 138.

¹² الإيمان 130.

فاشترط رسول الله صلى الله عليه وسلم الجزم وعدم الشك لصحة الإيمان.

وفي الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل أبا هريرة بنعليه قائلًا له: من لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة.

ولذلك لا بد لكلمة التوحيد من شروط لتكون مفتاحاً لدخول الجنة، وهذه الشروط هي:

(1) العلم بمعناها: قال تعالى: {فاعلم أنه لا إله إلا الله} وفي الصحيح عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة).

(2) اليقين: أن يكون القائل مستيقناً بمدلول هذه الكلمة يقيناً جازماً فإن الإيمان لا يغني فيه إلا اليقين لا علم الظن والشك قال تعالى: {إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا}.

(3) القول لما اقتضته هذه الكلمة بقلبه ولسانه: قال تعالى: {إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون ويقولون أنا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون}.

فجعل الله سبحانه وتعالى علة تعذيبهم وسببه هو استكبارهم عن قول لا إله إلا الله كما تقدم.

(4) الانقياد لما دلت عليه بالطاعة والإنابة قال سبحانه: {وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له} وقال سبحانه: {ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى}.

(5) الصدق: وهو أن يقولها صدقاً من قلبه يوافق قلبه لسانه قال عز وجل: {ومن الناس من يقول آمناً بالله واليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون}، فهم كاذبون في قولهم.

وقال صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه: ((ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً

عبده ورسوله صدقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار))
فاشترط في قائل الكلمة أن يكون صادقاً.

(6) الإخلاص: قال سبحانه: {ألا لله الدين الخالص}
وقال تعالى: {وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين
حنفاء}.

(7) المحبة: قال تعالى: {ومن الناس من يتخذ من
دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا
لله} ¹³.

الأشاعرة وصفات الله

¹³ انظر العقيدة في الله لعمر الأشقر.

البيجوري وناظم الجوهرة اللقاني يبيان سلوك طريق السلف الصالح في توحيد الصفات وهما يتبعان طريق الخلف في ذلك.

فالبيجوري من القائلين بتأويل صفات الله عز وجل وصرّفاً عن ظاهرها وتحميل معاني الصفات معان جديدة جاؤوا بها من عند أنفسهم فحرموا متابعة الأول ووافقوا أقواماً طالما حمل عليهم السلف الغارات من أجل ردعهم عن باطلهم ومن أجل كشف عوار وعقائدهم يقول اللقاني:

وكل نص أوهم التشبيهاً أوله أو فوّض ورم تنزيهاً

يقول البيجوري: ("أوله"؛ أي أحمله على خلاف ظاهره مع بيان المعنى المراد، فالمراد: أوله تأويلاً تفصيلاً بأن كون قه بيان المعنى المراد كما هو مذهب الخلف: وهم من كانوا بعد الخمسمائة. وقيل: من بعد القرون الثلاثة. وقوله: "أو فوّض"؛ أي بعد التأويل الإجمالي الذي هو صرف اللفظ عن ظاهره، فبعد هذا التأويل فوّض المراد من النص الموهوم إليه تعالى على طريقة السلف).

يقول: (وطريقة الخلف أعلم وأحكم، لما فيها من مزيد الإيضاح والرد على الخصوم، وهي الأرجح، ولذلك قدمها الناظم، وطريقة السلف أسلم: لما فيها من السلامة من تعيين معنى قد يكون غير مراد الله. وقوله "ورم تنزيهاً"؛ أي واقصد تنزيهاً له تعالى عما لا يليق به مع تفويض علم المعنى المراد؛ فظهر مما قررناه اتفاق السلف والخلف على التأويل الإجمالي لأنهم يصرفون النص الموهوم عن ظاهره المحال عليه تعالى).

ويقول شارحاً ذلك بالأمثلة:

(1) قوله تعالى: {يخافون ربهم من فوقهم} فالسلف يقولون فوقية لا نعلمها، والخلف يقولون: المراد بالفوقية تعالى في العظمة أي ارتفاعه فيها.

(2) قوله تعالى: {الرحمن على العرش استوى} فالسلف يقولون: استواء لا نعلمه، والخلف يقولون: المراد به الاستيلاء والملك. كما قال الشاعر:

قد استوى بشر على العراق
من غير سيف ولا دم مهراق

ويقول مؤيداً قول الغزالي في القصيدة المنسوبة إليه:

وهو فوق الفوق لا فوق له
وهو في كل النواحي لا يزول

(3) قال: ومما يوهم الجسمية قوله تعالى: {وجاء ربك} وحديث الصحيحين: (ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير، ويقول من يدعوني فاستجب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له)، فالسلف يقولون: مجيء ونزول لا نعلمها، والخلف يقولون: المراد: وجاء عذاب ربك أو أمر ربك الشامل للعذاب، والمراد ينزل ملك ربنا فيقول عن الله... إلخ.

(4) قال: ومما يوهم الجوارح قوله تعالى: {ويبقى وجه ربك} و{يد الله فوق أيديهم} وحديث: (إن قلوب بني آدم كلها كقلب واحد بين أصبعين من أصابع من الرحمن) فالسلف يقولون: لله وجه ويد وأصابع لا نعلمها، ويقول الخلف المراد من الوجه: الذات، وباليد: القدرة؛ والمراد من قوله: (بين أصبعين من أصابع الرحمن) بين صفتين من صفاته وهاتان الصفتان: القدرة والإرادة.

هذه هي عقيدة البيجوري الأشعري في صفات الله عز وجل وقوله يتضمن عدة أمور:

(1) أن صفات الله عز وجل دائرة بين التأويل والتفويض لا ثالث لهما.

(2) أن تأويل هو صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى آخر.

(3) التفويض: هو جهل بمعنى الصفات، وتفويض المعاني للصفات الموهمة لرب العالمين.

(4) التفويض والتأويل متفقان على أن اللفظ القرآني للصفة غير مراد؛ والسلف والخلف متفقان على صرف النص الموهم عن ظاهره المحال عليه تعالى - كما يزعم -

¹ الشرح 91 - 93

(5) أن إثبات صفات الله عز وجل يؤدي إلى التجسيم.

فهل ما قاله البيجوري يوافق معتقد أهل السنة والجماعة من السلف الصالح؟ وهل ما قاله يوافق ما فهمه الأئمة من صفات الله عز وجل؟

ما هي عقيدة السلف في صفات الله عز وجل؟

قال ابن القيم رحمه الله: (وقد تنازع الصحابة في كثير من مسائل الأحكام، وهم سادات المؤمنين وأكمل الأمة إيماناً؛ ولكن بحمد الله لم يتنازعوا في مسألة واحدة من مسائل الأسماء والصفات والأفعال؛ بل كلهم على إثبات ما نطق به الكتاب والسنة كلمة واحدة، من أولهم إلى آخرهم، لم يسموها تأويلاً، ولم يحرفوها عن مواضعها تبديلاً، ولم يبدوا لشيء منها إبطالاً، ولا ضربوا لها أمثالاً، ولم يدفعوا في صدورهم وأعجازها، ولم يقل أحد منهم يجب صرفها عن حقائقها وحملها على مجازها؛ بل تلقوها بالقبول والتسليم)².

وقال الشيخ محمد أمين الشنقيطي: (والحق الذي لا يشك فيه أدنى عاقل، أن كل ما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله فالظاهر المتبادر منه السابق إلى فهم من في قلبه شيء من الإيمان هو التنزيه التام عن مشابهة شيء من صفات الحوادث).

قال: (وهل ينكر عاقل أن السابق إلى الفهم المتبادر إلى كل عاقل هو مناقاة الخالق للمخلوق في ذاته وجميع صفاته؟ لا والله لا ينكر ذلك إلا مكابر. والجاهل المفترى الذي يزعم أن ظاهر آيات الصفات لا يليق بالله؛ لأنه كفر وتشبيه، إنما جر إليه ذلك تنجيس قلبه بقدر التشبيه بين الخالق والمخلوق فاداه شؤم التشبيه إلى نفي صفات الله عز وجل وعدم الإيمان بها مع أنه جل وعلا هو الذي وصف نفسه بها فكان هذا الجاهل مشبهاً أولاً ثم معطلاً ثانياً، فارتكب ما لا يليق بالله ابتداءً وانتهاءً، ولو كان في قلبه عارفاً بالله كما ينبغي، معظماً لله كما ينبغي، طاهراً من أقدار التشبيه، لكان المتبادر عنده السابق إلى فهمه أن وصف الله تعالى بالغ في الكمال والجمال ما يقطع أوهام علائق المشابهة بينه وبين صفات المخلوقين فيكون قلبه

² "أعلام الموقعين 1/49"

مستعداً لصفات الكمال والجلال الثابتة لاه في القرآن والسنة الصحيحة مع التنزيه التام عن مشابهة صفات الخلق علي³ نحو قوله: { ليس كمثل شيء وهو السميع البصير }³.

وقال ابن عبد البر: (أهل السنن مجمعون على الإقرار بهذه الصفات الواردة في الكتاب والسنة، ولم يكفوا شيئاً منها؛ وأما الجهمية والمعتزلة والخوارج فقالوا: من أقر بها فهو مشبه فسماهم من أقر بها معطلة)⁴.

وقال الإمام الترمذي في سننه في باب فضل الصدقة: (ما ثبت بهذه الروايات فنؤمن بها ولا نتوهم ولا يقال كيف هذا، هكذا روي عن مالك بن أنس وسفيان بن عيينة وعبد الله بن المبارك أنهم قالوا في هذه الأحاديث: أمرها بلا كيف، وهكذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة).

وأما الجهمية فأنكرت هذه الروايات وقالوا هذا تشبيه. وقد ذكر الله عز وجل في غير موضع من كتابه اليد والسمع والبصر فتأولت الجهمية هذه الآيات وفسروها على غير ما فسر أهل العلم وقالوا: إن الله لم يخلق آدم بيده وقالوا: إنما معنى اليد القدرة.

وقال إسحاق بن إبراهيم: إنما يكون التشبيه إذا قال يد كيد أو مثل يد أو سمع كسمع أو مثل سمع فإذا قال سمع كسمع أو مثل سمع فهذا تشبيه، وأما إذا قال كما قال الله: يد وسمع وبصر، كيف ولا يقول مثل سمع ولا كسمع فهذا لا يكون تشبيهاً وهو كما قال تبارك وتعالى في كتابه: { ليس كمثل شيء وهو السميع البصير }⁵.

وقال الشهرستاني: (فأما أحمد بن حنبل وداود بن علي الأصفهاني وجماعة من أئمة السلف فجرؤا على منهاج السلف المتقدمين عليهم من أصحاب الحديث مثل مالك بن أنس ومقاتل بن سليمان وسلخوا طريق السلامة فقالوا: نؤمن بما ورد في الكتاب والسنة ولا نتعرض للتأويل بعد أن نعلم قطعاً أن الله عز وجل لا يشبه شيئاً

³ أضواب البيان 2/319 وأنظر منهج الدراسات لآيات الأسماء والصفات له 19 - 20.
⁴ فتح الباري 13/407.
⁵ سنن الترمذي 2/87.

من المخلوقات وأن كل ما تمثل في الموهم فإنه خالقه ومقدره).

وقال ابن خزيمة في كتابه "التوحيد وإثبات صفات الرب": (فنحن وجميع علمائنا من أهل الحجاز واليمن والعراق والشام ومصر مذهبنا: أن ثبت لله ما أثبتته الله لنفسه نقر بذلك بالسنتنا ونصدق بذلك في قلوبنا من غير أن نشبه وجه خالقنا بوجه أحد من المخلوقين وعز ربنا أن نشبهه بالمخلوقين، وجل ربنا عن مقالة العاطلين وعز أن يكون كما قال المبطلون)⁷.

قال ابن قدامة المقدسي: (وعلى هذا درج السلف والخلف رضي الله عنهم متفقون على الإقرار والإقرار والإثبات لما ورد من الصفات في كتاب الله وسنة رسوله من غير تعرض لتأويله وقد أمرنا بالإقتفاء لأثارهم والإهداء بمنارهم وحدثنا المحدثات وأخبرنا أنها ضلالات).

فهذه نصوص من أقوال السلف الصالح في وصف عقائد أصحاب الملة الصحيحة واضحة جلية في أن عقائد السلف هي ما اجتمع فيها:

1) تنزيه الله عن مشابهة الخلق في صفاته وأفعاله وذاته.

2) الإيمان بالصفات الثابتة بالكتاب والسنة وعدم التعرض لنفيها وعدم التهجم على الله بنفي ما أثبتته لنفسه.

3) صفات الله مقطوع الطمع بإدراك كيفيتها⁹.

إذاً فعقيدة السلف رضي الله عنهم:

إثبات ما أثبتته الله لنفسه من غير تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه.

وأنه من قال بالتأويل والتعطيل فهو جهمي معاند.

⁶ الملل والنحل 604.

⁷ ص 10.

⁸ لمعة الاعتقاد 4.

⁹ منهج ودرسات 25 - 26.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (فقول ربيعة ومالك: الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب؛ موافق لقول الباقيين أمرؤها كما جاءت بلا كيف فإنما نفوا علم الكيفية ولم ينفوا حقيقة الصفة ولو كان القوم قد آمنوا باللفظ المجرد من غير فهم لمعناه على ما يليق بالله لما قالوا: أمرؤها كما جاءت بلا كيف فإن الاستواء حينئذ لا يكون معلوماً؛ بل مجهولاً بمنزلة حروف المعجم، وأيضاً فإنه لا يحتاج إلى نفي علم الكيفية إذا لم يفهم من اللفظ معنى وإنما يحتاج إلى نفي علم الكيفية إذا أثبت في الصفات، وأيضاً فإن من ينفي الصفات مطلقاً لا يحتاج أن يقول بلا كيف فمن قال: إن الله ليس على العرش لا يحتاج أن يقول بلا كيف فلو كان مذهب السلف نفي الصفات في نفس الأمر لما قالوا بلا كيف وأيضاً فقولهم: أمرؤها كما جاءت يقتضي إبقاء دلالتها على ما هي عليه فإنها جاءت الفاظاً دالة على معاني، فلو كانت دلالتها منفية لكان الواجب أن يقال أمروا لفظها مع اعتقاد أن المفهوم منها غير مراد أو أمروا لفظها مع اعتقاد أن الله لا يوصف بما دلت عليه حقيقة، وحينئذ فلا تكون قد أمرت كما جاءت ولا يقال حينئذ بلا كيف إذا نفي الكيف عما ليس بثابت لغو من القول)¹⁰.

فليس مذهب السلف التفويض ولا التأويل إنما هم يثبتون صفات الله عز وجل مع تنزيهه سبحانه وتعالى.

قال الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين: (ظواهر نصوص الصفات معلومة لنا باعتبار آخر، فباعتبار المعنى هي معلومة، وباعتبار الكيفية التي هي عليها مجهولة.

وقد دل على ذلك السمع والعقل.

أما السمع فمنه قوله تعالى: {كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب} وقوله تعالى: {إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون} وقوله جل ذكره: {وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون}.

والتدبر لا يكون إلا فيما يمكن الوصول إلى فهمه ليتذكر الإنسان بما فهمه منه.

¹⁰ مجموع الفتاوى 5/41 - 42.

وكون القرآن عربياً ليعقله من يفهم العربية يدل على أن معناه معلوم وإلا لما كان الفرق بين أن يكون باللغة العربية أو غيرها.

وبيان النبي صلى الله عليه وسلم القرآن للناس شامل لبيان لفظه ومعناه. وأما العقل فلأن من المحال أن ينزل الله تعالى كتاباً أو يتكلم رسوله صلى الله عليه وسلم بكلام يقصد بهذا الكتاب وهذا الكلام أن يكون هداية للخلق ويبقى في أعظم الأمور وأشدّها ضرورة مجهولة المعنى بمنزلة الحروف الهجائية التي لا يفهم منها شيء لأن ذلك من السفه الذي تاباه حكمة الله تعالى وقد قال الله تعالى عن كتاب: {كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير}

هذه دلالة السمع والعقل على علمنا بمعاني نصوص الصفات: وبهذا علم بطلان مذهب المفوضة الذين يفوضون علم معاني نصوص الصفات ويدعون أن هذا مذهب السلف والسلف بريئون من هذا المذهب، وقد تواترت الأقوال عنهم بإثبات المعاني لهذه النصوص إجمالاً أحياناً وتفصيلاً أحياناً وتفويضهم الكيفية إلى علم الله عز وجل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه المعروف "العقل والنقل" - 1/116 - المطبوع على هامش منهاج السنة: (وأما التفويض فمن المعلوم أن الله أمرنا بتدبير القرآن وحرصنا على عقله وفهمه فكيف يجوز مع ذلك أن يراد منا الإعراض عن فهمه ومعرفته وعقله).

إلى أن قال - ص 118 - : (وحيث أن يكون ما وصف الله به نفسه في القرآن أو كثير مما وصف الله به نفسه لا يعلم الأنبياء معناه؛ بل يقولون كلاماً لا يعقلون معناه، قال: ومعلوم أن هذا قدح في القرآن والأنبياء إذ كان الله أنزل القرآن وأخبر أنه جعله هدى بياناً للناس، وأمر الرسول أن يبلغ البلاغ المبين، وأن يبين للناس ما نزل إليهم وأمر بتدبير القرآن وعقله، ومع هذا فأشرف ما فيه هو ما أخبر به الرب عن صفاته... لا يعلم أحد معناه، ولا يعقل ولا يتدبر ولا يكون الرسول بين لنا ما نزل إليهم، ولا بلغ المبين؛ وعلى هذا التقدير فيكون كل ملحد ومبتدع؛ الحق في نفس الأمر ما علمته برأبي وعقلي وليس في النصوص ما يناقض ذلك، لأن تلك النصوص مشككة متشابهة ولا يعلم أحد معناها، وما لا يعلم أحد معناه لا

يجوز أن يستدل به فيبقى هذا الكلام سيد للباب الهدى، والبيان في طريقنا لا في طريق الأنبياء، لأننا نحن نعلم ما نقول ونبينه بالأدلة العقلية والأنبياء لم يعلموا ما يقولون فضلاً عن أن يبينوا مرادهم، فتبين أن قول أهل التفويض الذين يزعمون أنهم متبعون للسنة والسلف من شر أقوال أهل البدع والإلحاد¹¹.

فالتأويل والتفويض مذهبان باطلان وفيهما إلحاد في صفات الرب تبارك وتعالى.

قال بن عثيمين: (ومذهب التأويل باطل من وجوه:

1) أنه جناية على النصوص حيث جعلوها دالة على معنى باطل غير لائق بالله ولا مراد له.

2) أنه صرف لكلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم عن ظاهره. والله تعالى خاطب الناس بلسان عربي مبين ليعقلوا الكلام ويفهموه على ما يقتضيه هذا اللسان العربي والنبي صلى الله عليه وسلم خاطبهم بأفصح لسان البشر فوجب حمل كلام الله ورسوله على ظاهره المفهوم بذلك اللسان العربي غير أنه يجب أن يصان عن التكيف والتمثيل في حق الله عز وجل.

3) أن صرف كلام الله ورسوله عن ظاهره إلى معنى يخالفه؛ قول على الله بلا علم، وهو محرم لقوله تعالى: {قل إنما حم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون} ولقوله سبحانه: {ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان مسئولاً}.

فالصارف لكلام الله تعالى ورسوله عن ظاهره إلى معنى يخالفه قد قفنا ليس له به علم وقال على الله ما لا يعلم من وجهين:

الأول: أنه زعم أنه ليس المراد بكلام الله تعالى ورسوله كذا مع أنه ظاهر الكلام.

الثاني: أنه زعم أن المراد به كذا لمعنى آخر لا يدل عليه ظاهر الكلام. وإذا كان المعلوم أن تعيين أحد

¹¹ القواعد المثلى 36.

المعنيين المتساويين في الاحتمال قول بلا علم؛ فمننا ظنك بتعيين المعنى المرجوح المخالف لظاهر الكلام؟

مثال ذلك قوله تعالى لإبليس: {ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي} فإذا صرف الكلام عن ظاهره وقال لم يرد باليدين اليدين الحقيقيتين وإنما أراد كذا وكذا قلنا لهم ما دليلك على ما نفيت وما دليلك على ما أثبت فإن أتى بدليل - وأتى له ذلك- وإلا كان قائلًا على الله بلا علم بنفيه وإثباته.

(4) أن صرف نصوص الصفات عن ظاهرها مخالف لما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وسلف الأمة وأئمتها فيكون باطلاً لأن الحق بلا ريب فيما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وسلف الأمة وأئمتها)¹².

الصفات التي أولها البيجوري:

بعد بيان مذهب السلف في صفات الله عز وجل وأنها حق على ظاهرها من غير تشبيه، نرى تاويل البيجوري لبعض صفات الله وما هو موقف السلف من هذه الصفات.

1) أوّل البيجوري الفوقية بالعظمة وزعم أن فوقية الذات تستلزم التشبيه.

وأوّل الاستواء بالاستيلاء.

وإليك فهم السلف لقول الله فيهما:

قال تعالى: {إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ}، وقال سبحانه: {تَنْزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَىٰ} * الرَّحْمَنِ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ * لِمَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ}، وقال تعالى: {أَتَىٰ مَتَوَفِيكَ وَرَأَفُكَ اللَّهُ}، وقال تعالى: {وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ}، وقال تعالى: {يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ}، وقال تعالى: {إِلَيْهِ

¹² انتهى باختصار القواعد المثلى 40-43.

يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ، وقال تعالى: {يَا هَامَانَ أَيْنَ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلِهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا}.

قال الجافظ المدارمي في "الرد على الجهمية": (ففي هذه الآية بيان بين ودلالة ظاهره أن موسى كان يدعو فرعون إلى معرفة الله بأنه فوق السماء، فمن أجل ذلك أمر ببناء الصرح ورام الاطلاع إليه).

قال معاوية بن الحكم السلمي: (كانت لي غنم بين أحد والجوانية فيها جارية لي، فأطلعتها ذات يوم فإذا البذئب قد ذهب منها بشاة - وأنا رجل من بني آدم - فأسفت فصككتها فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم ذكرت ذلك له، فعظم ذلك علي، فقلت: يا رسول الله أفلا أعتقها؟ قال: ادعها. فقال لها رسول الله: أين الله؟ قالت: في السماء، قال: من أنا؟ قالت: رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: أعتقها فإنه مؤمنة¹³).

وعن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء؟ يأتيني خبر السماء صباح مساء)) متفق عليه.

وعن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أمطرت حسر عن منكبيه حتى يصيبه المطر ويقول: (إنه حديث عهد بربه)¹⁴.

وقال عدي بن عميرة: خرجت مهاجراً إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر قصة طويلة... إلى أن قال: (فإذا هو ومن معه يسجدون على وجوههم ويزعمون أن إلههم في السماء فأسلمت وتبعته)¹⁵.

وقال أبو حنيفة: (من قال لا أعرف ربي في السماء أو في الأرض فقد كفر، لأن الله تعالى يقول: {الرحمن على العرش استوى} وعرشه فوق سبع سماوات)¹⁶.

¹³ رواه مسلم وأبو داود والنسائي.

¹⁴ رواه مسلم.

¹⁵ اجتماع الجيوش الإسلامية 51.

¹⁶ شرح الطحاوية 322.

وقال عبدالله بن المبارك: (نعرف ربنا بأنه فوق سبع سماوات على العرش استوى بئن من خلقه، ولا نقول كما قالت الجهمية)¹⁷.

وقال وهب بن جرير: (الجهمية الزنادقة إنهما يردون أنه ليس على العرش استوى). وقال: (أحذر من المريسي وأصحابه فإن كلامهم يستجلب الزندقة وأنا كلمت أستاذهم جهماً فلم يثبت لي أن في السماء إلهاً)¹⁸.

وقال ابن خزيمة: (فنحن نؤمن بخبر الله جل وعلا أن خالقنا مستوي على عرشه لا تبدل كلام الله ولا نقول قولاً غير الذي قيل لنا)¹⁹.

وقال أبو الحسن الأشعري: (نقول إن الله عز وجل مستوي على عرشه)²⁰.

وقال ابن تيمية: (والقول الفصل هو ما عليه الأمة الوسط من أن الله مستوي على عرشه استواءً يليق بجلاله ويختص به)²¹.

قال أبو الحسن الأشعري شارحاً الاستواء: (فالسماوات فوقها العرش فلما كان العرش فوق السماوات قال: {أأنتم من في السماء} لأنه مستوي على العرش الذي فوق السماوات، وكل ما علا فهو سماء، فالعرش أعلى السماوات، وليس إذا قال: {أأنتم من في السماء} - يعني جميع السماوات - وإنما أراد العرش الذي هو أعلى السماوات، ألا ترى أن الله عز وجل ذكر السماوات فقال: {وجعل القمر فيهن نورا} ولم يرد أن القمر يملأهن جميعاً، وأنه فيهن جميعاً، ورأينا المسلمين جميعاً يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء، لأن الله عز وجل مستوي على العرش الذي هو فوق السماوات، فولا أن الله عز وجل على العرش لم يرفعوا أيديهم كما لا يحطونها إذا دعوا إلى الأرض)²².

¹⁷ الرد على الجهمية 8.

¹⁸ الرد على الجهمية 8.

¹⁹ التوحيد 101 - 104.

²⁰ الإبانة 30.

²¹ الحموية 1/439 - 440 المجموعة الكبرى.

²² الإبانة 31.

وقال رحمه الله: (إن قال قائل: ما تقول في الاستواء؟ قيل: تقول له: إن الله مستو على العرش كما قال تعالى: {الرحمن على العرش استوى}... وقد قال قائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية: إن قول الله تعالى: {الرحمن على العرش استوى} أنه استولى وقهر وملك، وأن الله تعالى في كل مكان، ووجدوا أن يكون الله على عرشه - كما قال أهل الحق - وذهبوا في الاستواء للقدرة ولو كان هذا كما ذكره كان لا فرق بين العرش والأرض، قاله سبحانه قادر عليها وعلى الحشوش وعلى كل ما في العالم، فلو كان الله مستوياً على العرش بمعنى الاستيلاء - وهو سبحانه مستول على الأشياء كلها - لكان مستوياً على العرش وعلى الأرض وعلى السماء وعلى الحشوش والأقدار لأنه قادر على الأشياء مستول عليها، وإذا كان قادر على الأشياء كلها - ولم يجز عند أحد من المسلمين أن يقول: إن الله عز وجل مستو على الحشوش والأخلية - لم يجوز أن يكون الاستواء على العرش الاستيلاء الذي هو عام في الأشياء كلها فوجب أن يكون معناه استواء يختص العرش دون الأشياء كلها.

وزعمت المعتزلة والحرورية والجهمية أن الله عز وجل في كل مكان، فلزمهم أنه في بطن مريم وفي الحشوش والأخلية، وهذا خلاف الدين، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً²³.

وقال أبو نصر السجزي: (وأئمتنا كالثوري ومالك وابن عيينة وحماد بن زيد والفضيل وأحمد وإسحاق متفقون على أن الله فوق العرش بذاته، وأن علمه في كل مكان)²⁴.

وقال الإمام القرطبي في قوله تعالى: {ثم استولا على العرش}: (وقد كان السلف الأول رضي الله عنهم لا يقولون بنفي الجهة ولا ينطقون بذلك؛ بل نطقوا هم والكافة بإثباتها لله تعالى كما نطق كتابه وأخبرت رسله. ولم ينكر أحد من السلف الصالح أنه استوى على عرشه حقيقة. وخص العرش بذلك لأنه من أعظم المخلوقات، وإنهما جهلوا كيفية الاستواء فإنها لا تعلم حقيقته)²⁵.

²³ الإبانة 70 - 71.

²⁴ اجتماع الجيوش الإسلامية 97.

²⁵ الجامع لأحكام القرآن 7/219.

وقال ابن خزيمة: (من لم يقل أن الله فوق سماواته على عرشه بأئن من خلقه، وجب أن يستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه، ثم ألقى على مزبلة لئلا يتأذى بريحه أهل القبلة ولا أهل الذمة).

وقال الإمام البخاري عند قوله تعالى: {ثم استوى إلى السماء}: (قال أبو العالية الرياحي: استوى إلى السماء أي ارتفع، وقال مجاهد: استوى: علا على العرش)²⁶

وقال الدارمي في "الرد على الجهمية" بعدما ساق حديث الجارية: (ففي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا دليل على أن الرجل إذا لم يعلم أن الله عز وجل في السماء دون الأرض فليس بمؤمن ولو كان عبداً فأعتق لم يجز في رقبة مؤمنة، إذ لا يعلم أن الله في السماء)²⁷

وقال حماد بن زيد: (إنما يدورون على أن يقولوا ليس في السماء إله)²⁸ - يعني الجهمية -

معنى قولهم: إن الله في السماء:

قال أبو بكر محمد بن موهب المالكي في شرحه لرسالة الإمام أبي محمد بن أبي زيد: (أما قوله: إنه فوق عرشه المجيد بذاته، فمعنى فوق وعلا عند جميع العرب واحد. وفي الكتاب والسنة تصديق ذلك، وهو قوله تعالى: {ثم استوى على العرش}. وقال: {الرحمن على العرش استوى} وقال: {يخافون ربهم من فوقهم}).

وساق حديث الجارية والمعراج إلى سدرة المنتهى، إلى أن قال: (وقد تأتي لفظة "في" في لغة العرب بمعنى فوق، كقوله تعالى: {قامشوا في مناكبها} و{في جذوع النخل} و{أأنتم من في السماء} قال أهل التأويل - أي التفسير - يريد فوقها، وهو قول مالك مما فهمه عن أدرك من التابعين مما فهموه عن الصحابة، مما فهموه عن النبي صلى الله عليه وسلم أن إله في السماء، يعني فوقها وعليها، فلذلك قال الشيخ أبو محمد: (إنه فوق عرشه" ثم بين أن علوه فوق عرشه إنما هو بذاته لأنه

²⁶ صحيح البخاري الفتح 13/404.

²⁷ الرد على الجهمية 39.

²⁸ مختصر العلو 146.

تعالى بائن عن جميع خلقه بلا كيف وهو في كل مكان يعلمه لا بذاته. إذ لا تحويه الأماكن، لأنه أعظم منها، قد كان ولا مكان).

ثم سرد كلاماً طويلاً... إلى أن قال: (فلما أيقن المنصفون أفراد ذكره بالاستواء على عرشه بعد خلقه سماواته وأرضه، وتخصيصه بصفة الاستواء، وعلموا أن الاستواء هنا غير الاستيلاء نحوه، فأقروا بوصفه بالاستواء على عرشه، وأنه على الحقيقة لا على المجاز، لأنه الصادق في قيله، ووقفوا عن تكيف ذلك إذ ليس كمثلته شيء)²⁹.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (ثم من توهم أن كون الله في السماء - بمعنى أن الله في السماء تحيط به - فهو كاذب إن نقله عن غيره، وضال إن اعتقده في ربه، وما سمعنا أحداً يفهمه من اللفظ ولا رأينا أحداً نقله عن واحد؛ ولو سئل سائل المسلمين هل يفهمون من قول الله ورسوله إن الله في السماء (أن السماء) تحويه، ليأدر كل واحد منهم)... إلى أن يقول: (هذا شيء لعله لم يخطر بالنا. وإذا كان الأمر هكذا فمن التكلف أن يجعل ظاهر اللفظ شيئاً محالاً لا يفهمه الناس منه ثم يريد أن يتأوله؛ بل عند المسلمين أن معنى "الله في السماء وهو على العرش" واحد إذ السماء يراد به العلو، فالمعنى أن الله في العلو لا في السفلى)³⁰.

وقد تقدم قول الإمام أبي الحسن الأشعري في هذا، وقوله أن الاستواء بمعنى الاستيلاء فقد قدمنا أقوال السلف في نفي هذا التأويل الباطل.

وممن قال كذلك في هذا النفي:

قال محمد بن أحمد بن النضر: (كان أبو عبد الله جارنا وكان ليلة أحسن ليل، وذكر لنا أن ابن أبي داود

²⁹ مختصر العلو 282 - 283.
³⁰ العقيدة الحموية 158.

يسأله: أتعرف في اللغة استوى بمعنى استولى؟ فقال: لا أعرفه³¹.

وقال داود بن علي: (كنا عند ابن الأعرابي فأتاه رجل، فقال: يا أبا عبد الله، ما معنى قوله تعالى: {الرحمن على العرش استوى}؟ قال: هو على عرشه كما أخبر، فقال الرجل: ليس كذلك؛ إنما معناه استولى. فقال: اسكت ما يدريك ما هذا؟ العرب لا تقول للرجل استولى على الشيء حتى يكون له فيه مضاد، فأيهما غلب، قيل استولى، والله تعالى لا مضاد له وهو على عرشه كما أخبر³²).

وبهذا يعلم أن قول من قال: أن الله في كل مكان ضلال مبين.

(2) أوّل البيجوري صفة المجيء بأنه مجيء العذاب أو الملائكة.

وتقدم قول السلف في الصفات وأن الواجب على المؤمن أمرها واعتقادها من غير تأويل ولا تعطيل، فهذه صفة لله عز وجل قد نسبتها لنفسه فقال سبحانه: {وجاء ربك والملك صفا صفا} فنحن نقول أن الله عز وجل يأتي كما يليق بجلاله وعظمته.

وقال سبحانه وتعالى: {هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة}.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (فأهل السنة والجماعة يثبتون ما يقوم بالله تعالى من الصفات والأفعال التي يشاؤها ويقدر عليها؛ وقال رحمه الله: ولو لم يتصف الله تعالى بالنزول والمجيء والإتيان وغير ذلك من صفات الأفعال التي وصف بها نفسه، أو وصفه بها رسوله صلى الله عليه وسلم، لكان من يتصف بذلك من خلقه أكمل منه وأتم، ولا يقول بهذا أحد، وفي القاعدة الكلامية المشهورة: أن كل كمال ثبت لمخلوق من غير أن يستلزم نقصاً بوجه من الوجوه فالخالق تبارك وتعالى أولى به من كل مخلوق. وكل نقص تنزهه عنه مخلوق فالخالق سبحانه وتعالى أولى بتنزهه عنه من كل موجود)³³.

³¹ مختصر العلو 194 – 195.

³² مختصر العلو 195.

³³ موافقة صريح المعقول 2/119.

وكذلك صفة النزول هي من صفات الله تعالى حقيقة لا مجاز فهو تعالى ينزل ويجيء ويأتي على ما يليق بجلاله. وهي صفة ككل صفات الله عز وجل نقطع الطمع بإدراك كيفيتها.

وأما صفة الوجه واليد والأصابع، فهي صفات حق أخبر الله عز وجل في كتابه وأخبر رسوله صلى الله عليه وسلم عنها في كلامه، والقول فيها كالقول بباقي الصفات.

البيجوري وأول واجب على المكلف

يقول البيجوري بعد أن ذكر أول الواجبات وان فيها الخلاف، ويوصل الأقوال إلى اثني عشر قولاً. قال: (والأصح أن أول واجب مقصداً: المعرفة. وأول واجب وبسيطة قريبة: النظر، ووسيلة بعيدة: القصد إلى النظر)

إذاً فأول واجب على المكلفين عند البيجوري هو القصد إلى النظر، لأن الوسيلة قبل الغاية، والوسيلة تبدأ من البعيد قبل القريب.

ويفسر البيجوري النظر بقوله: (والنظر - لغة - الإبصار: أي إدراك الشيء بحاسة البصر والفكر: أي حركة النفس في المعقولات، وأما في المحسوسات فتخيّل، وعلم من ذلك أن النظر مشترك بين الإبصار والفكر، والمراد منه هنا الثاني وهو الفكر)¹.

إذاً فالقصد إلى النظر: هو القدرة على التعبير عن وجود الله - فقط - باصطلاح المتكلمين من الأدلة المنطقية التي ورثها بعض أهل الإسلام من نفايات أهل اليونان.

ويقصد بالمعرفة: اعتقاد وجود الصانع وليس المراد بها التوحيد كما يتبادر إلى الأذهان. ودليل ذلك قول البيجوري: وحاصله أن تقول: نفسي ملزومة لصفات حادثه وكل ملزوم لصفات حادثه فهو حادث، وكل حادث لا يلد له من صانع حكيم واجب الوجود موصوف بالصفات³.

فإذا علمت هذا تستطيع أن تحكم على حكمه بان أول واجب هو النظر، أو القصد إلى النظر، أو المعرفة إن هذا ليس من الإسلام في شيء؛ بل حين تعرض إيمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وإيمان أصحابه وهو أكمل الناس إيماناً بعد الأنبياء على هذه القاعدة

¹ الشرح 38
² الشرح 38
³ الشرح 39

الباطلة، والحكم الجائر الذي جعل المسلمين وأئمتهم دهوراً طويلة مشغولين بمباحث فلسفيه أغنى الله المسلمين عنها ورحمهم حين أنزل لهم ما يصلحهم تمام الصلاح من كتاب قويم وسنة هدى نيرة، تجد أن عقائدهم في طريق غير هذا الطريق.

ولو نظرنا إلى هذين المأخذين - كتاب وسنة - لنرى ما هو أول واجب على المكلف، وما هو أول أمر دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم، لرأينا يغيّر كل المغيرة ما دعا البيجوري الناس إليه.

قال تعالى: {لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قومي اعبدوا الله مالكم من اله غيره}، وقال تعالى: {اعبدوا الله مالكم من اله غيره}، وقال سبحانه وتعالى: {ولقد بعثنا في كل أمة رسولا إن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت}، وقال تعالى: {وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا اله إلا أنا فاعبدون}.

إجماع الأنبياء أنهم ما أتوا بالنظر ولا بالقصد، بل جاءوا بالتوحيد وعبادة الله وحده واجتناب ما عبدوا من دون الله، ومعهم في ذلك خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم حين قال: ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله إلا الله وأن محمداً رسول الله) متفق عليه.

فهذه النصوص الصريحة والواضحة جلية المراد في دلائلها الأكيدة على أن أول واجب على المكلف هو شهادة أن لا اله إلا الله.

قال شارح العقيدة الطحاوية بن العز الحنفي: (أئمة السلف كلهم متفقون على أن أول واجب يؤمر به العبد الشهادتان ومتفقون على أن من فعل ذلك قبل البلوغ لم يؤمر بتجديد ذلك عقيب بلوغه، بل يؤمر بالطهارة والصلاة إذا بلغ أو ميز عند من يرى ذلك، ولم يوجب أحد منهم على وليه أن يخاطبه حينئذ بتجديد الشهادتين وإن كان الإقرار بالشهادتين واجباً ووجوبه يسبق الصلاة، لكن هو أدى هذا الواجب قبل ذلك)⁴.

فالتوحيد هو أول واجب وكذلك هو آخر واجب.

⁴ شرح العقيدة الطحاوية 75

قال صلى الله عليه وسلم: ((من كان آخر كلامه لا اله إلا الله دخل الجنة)) رواه الحاكم وغيره.

البيجوري قبورياً

لعل المسلم الواعي المتفهم لأبجديات عقيدته فحسب، يدرك أن أصل عقيدته وأساسها يكمن في أن العبادة لا تصرف إلا لله وحده، وأن الله عز وجل هو المستحق للعبادة، وهذا هو المتبادر الأول لذهن المؤمن حين ينطق بلا إله إلا الله، وهو يعلم كذلك أن صرف العبادة لغير الله إنما هو شرك في الوهية الإله الحق سبحانه وتعالى. فهل البيجوري حين يقرر عقائد التوحيد كما يزعم يفهم هذه الأبجدية ويعي حقيقتها؟!!

يقول البيجوري: (ولذا قيل: من لم تظهر كرامته بعد موته كما كانت في حياته فليس بصادق. وقال الشعرازي: ذكر لي بعض المشايخ أن الله تعالى يوكل بقبر الولي ملك يقضي الحوائج، وتارة يخرج الولي من قبره فيقضيها بنفسه)¹.

هذا التقرير العجيب في باب إثبات كرامات الأولياء وتحت شرحه لقوله الناظم اللقاني:

وأثبتن للأولياء الكرامة ومن نفاها إنبذن كلامه

أقول هذا التقرير العجيب ماذا يحمل في طياته: هل هو إثبات كرامات الأولياء التي لا ينكرها من أهل السنة أحد أم هو أمر آخر؟!!

الناظر فيه يتمعن يدرك المدعوة الصارخة للالتجاء إلى القبور لقضاء الحوائج، لأن المولى يقضي الحوائج أو الملك الموكل بقبره.

طامة عظيمة وندوة جاهلية في كتاب التوحيد من أجل الإشراف بالله سبحانه وتعالى.

¹ شرح الجوهرة 153

ومن أجل بيان أجلي في شرح مفهوم العبادة، وخاصة الدعاء، وأنه لا ينبغي صرفه إلا لله تعالى، وصرفه إلى غيره شرك بالعبادة.

نقول وبالله التوفيق:

إن الله عز وجل هو الذي خلق الخلق وهو الذي له حق الأمر وحده. قال سبحانه وتعالى: {إِلَهِهِ الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ} وخروج الناس عن أمره سبحانه وتعالى إنما هو معصية كبيرة لهذا الإله العظيم. ولذلك جعل سبحانه وتعالى أوامره من أجل إحقاق الحق وصرف العبادة له وحده، والعبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة. فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد للكفار والمنافقين والإحسان للجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الأدميين والبهائم والدعاء والذكر والقراءة، وأمثال ذلك من العبادة

ومع هذا البيان لمعاني العبادة، لا بد أن نعلم أن العبادة المقبولة عند الله تعالى لا بد لها من شروط، وإلا كانت العبادة باطلة وكانت وبالاً على صاحبها.

وهذه الشروط أجمع علماء الإسلام عليها، وهي واضحة جلية في الكتاب والسنة.

أجلى هذه الشروط وأعمقها وأهمها:

ألا تعبد إلا الله، ولا تعبد الله إلا بما شرع. فإن لا تعبد إلا الله تحقيقاً لمعنى التوحيد بشقه الأول وهو: أن لا إله إلا الله، ولا تعبد الله إلا بما شرع تحقيقاً لمعنى محمد رسول الله. فلا عبادة إلا بنية، ولا عبادة إلا بنص. فمن صرف عبادته لغير الله فقد أشرك، ومن عبد الله بغير ما شرع فقد ابتدع.

² العبودية 38

قال الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية: (جماع الدين أصلاً: أن لا نعبد إلا الله، ولا نعبده إلا بما شرع، لا نعبده بالبدع. كما قال تعالى: {فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً}. وذلك تحقيق الشهادتين: شهادة أن لا إله إلا الله، وشهادة أن محمداً رسول الله.

وفي الأولى: أن لا نعبد إلا الله. وفي الثانية: أن محمداً هو رسوله المبلغ عنه فعلينا أن نصدق خبره ونطيع أمره. وقد بين لنا ما نعبد الله به، ونهانا عن محدثات الأمور، وأخبر أنها ضلالة. قال تعالى: {بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون}.

وكما أننا مأمورون أن لا نخاف إلا الله، ولا نتوكل إلا على الله، ولا نرغب إلا إلى الله، ولا نستعين إلا بالله، وألا تكون عبادتنا إلا بالله، فكذلك نحن مأمورون أن نتبع الرسول ونطيعه، ونتأسي به. فالحلال ما حله، والحرام ما حرمه، والدين ما شرعه³.

بعد هذا البيان المقتضب لمفهوم العبادة لابد أن نعلم أن من أعظم العبادات التي لا يجوز صرفها إلا لله: الدعاء، وأن صرفه لغيره سبحانه وتعالى شرك يحبط الأعمال.

وقد أمر سبحانه وتعالى أن لا ندعو إلا إياه. قال جل وعلا: {ولا تدعو من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك}، وقال تعالى: {ولا تدعو مع الله إلهاً آخر لا إله إلا هو}.

وجعل سبحانه وتعالى دعاء غيره عبادة له وشركاً بالله تعالى: قال سبحانه وتعالى: {قل أرايتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض}، وقال سبحانه: {قل أرايتم شركائكم الذين تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض}، وقال جل وعلا: {قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله}، وقال سبحانه: {حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا أين ما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين}، وقال سبحانه وتعالى: {يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير، إن تدعوهم لا

³ العبودية 170 - 171

يسمعوا دعائكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئكم مثل خير}.

فهذه الآيات وأمثالها في كتاب الله العزيز كثيرة تبين لنا بوضوح أن من دعاء غير الله من قبر أو ميت إنما هو مشرك بالله رب العالمين.

قال ابن كثير في بيان الآية 37 من سورة الأعراف المتقدمة: (يخبر تعالى أن الملائكة إذا توفت المشركين يفزعهم عند الموت وقبض أرواحهم إلى النار يقولون لهم: أين الذين كنتم تشركون بهم في الحياة الدنيا وتدعونهم ويعبدونهم من دون الله أدعوهم يخلصونكم مما أنتم فيه)

وأما الأحاديث فكثيرة وأبينها قوله صلى الله عليه وسلم: ((الدعاء هو العبادة))، فهذا الحديث جلي واضح أن دعاء غير الله عبادة لغير الله، لأن الدعاء عبادة فكل من دعاء غير الله سبحانه وتعالى فقد وقع في الشرك الأكبر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (والذين يزورون قبور الأنبياء والصالحين ويحجون إليها ليدعوهم ويسألوهم أو ليعبدوهم ويدعوهم من دون الله هم مشركون).

وفي موطن آخر من الكتاب - ص 56 -: (وهؤلاء الذين يعتقدون أن القبور تنفعهم وتدفع البلاء عنهم قد اتخذوها أوثاناً من دون الله وصاروا يظنون فيها ما يظنه أهل الأوثان في أوثانهم فإنهم كانوا يرجونها ويخافونها ويظنون أنها تنفع وتضر).

وقد يقول جاهل متعالم إننا لو دعونا صاحب القبر إنما نحن نعتقد أنه لا ينفع ولا يضر إلا الله؛ ولكن نحن ندعوه بقولنا يا مدد أو بقولنا مدد يا رسول الله أو يا باز أو يا "أبو العلميين". إنما لتتقرب بذلك إلا الله بمن يحيهم من أوليائه ورسله، أي بمعنى: نتخذهم وأسطة لعظم قدرهم وجاههم عند الله.

فتقول وبالله التوفيق:

⁴ ابن كثير 2/203
⁵ الرد على الأختائي 52

إن هذا هو شرك القربة وهو من جنس شرك الجاهليين الذي بعث رسول الله إليهم ليدعوهم إلى التوحيد والإيمان. قال سبحانه وتعالى: {ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبؤن الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون}، وقال سبحانه: {إلا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى}.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (والمقصود هنا أن هؤلاء المشركين الذين يجعلون أصحاب القبور وسائط يشركون بهم كما يشرك أصحاب الأوثان بأوثانهم، يدعونهم ويستشفعون بهم ويرجونهم ويخافونهم وقد جعلوهم أندادا يحبونهم كحب الله، هم الذين يقولون لمن نهى عن هذا الشرك وأمر بعبادة الله وحده إنه تنقصهم وعاداهم وعاندهم. كما يزعم النصراني إن من جعل المسيح عبداً لله ولا يملك ضيراً ولا نفعاً أنه قد تنقص المسيح وعاداه وسبه وعانده)⁶.

وبعد هذا نرى ضلال البيجوري وأمثاله واضح ودعوة صريحة للإشراك بالله في كتاب موسوم أنه لب التوحيد وجوهره فإلى الله المشتكى.

وكذلك مما نهى الله عنه: أن يتحري المسلم الدعاء في أماكن القبور ظاناً أن هذا أرجى لدعائه وادعى لقبوله ولذلك نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم في أحاديث عن اتخاذ القبور مساجد يصلى عندها ويدعى الله فيها ومن هذه الأحاديث:

(1) عن عائشة رضي الله عنها قالت: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي لم يقم منه: لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد. قالت: فلولا ذلك أرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً)⁷.

(2) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)⁸.

⁶ الرد على الأختائي 62

⁷ رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

⁸ رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

(3) عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما كان مرض النبي صلى الله عليه وسلم تذاكر بعض نساءه كنيسة بأرض الحبشة يقال لها مارية - وقد كانت أم سلمة وأم حبيبة قد اتتا أرض الحبشة - فذكرن من حسنها وتصاويرها قالت: فرفع النبي صلى الله عليه وسلم رأسه فقال: (أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنو على قبره مسحداً ثم صوروا تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة)

(4) عن عبدالله بن مسعود قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن من شرار الناس من تدركه الساعة وهم أحياء ومن يتخذ القبور مساجد) ¹⁰.

فهذه الأحاديث وغيرها من الأحاديث الكثيرة تبين ضلال من قصد القبر للتبرك والدعاء والصلاة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (فمن قصد بقعة يرجو الخير بقصدها - ولم يستحب الشارع قصدها - فهو من المنكرات وبعضه أشد من بعض، سواء قصدها قاصدها ليصلي عندها، أو ليدعو عندها، أو ليقرا عندها، أو ليذكر الله عندها، أو لينسك عندها، بحيث يخص تلك البقعة بنوع من العبادة التي لم يشرع تخصيصها به لا نوعاً ولا عيناً إلا أن ذلك قد يجوز لحكم الاتفاق لا لقصد الدعاء فيه كمن يزورها ويسلم عليها ويسأل الله العافية له وللموتى كما جاءت به السنة، وأما تحري الدعاء عندها بحيث يستشعر أن الدعاء هناك أجوب منه في غيره فهذا هو المنهي عنه) ¹¹.

وقال رحمه الله تعالى: (والمقصود أن ما سنه لأمته غير النوع الذي يقصده أهل البدع من السفر إلى زيارة قبور الأنبياء والصالحين، فإنهم - أي أهل البدع - لا يسافرون لأجل ما شرع من الدعاء لهم والاستغفار؛ بل لأجل دعائهم والدعاء بهم والاستشفاع بهم، فيتخذون قبور أنبيائهم مساجد وأوثاناً وعيذاً يجتمعون فيه) ¹².

⁹ رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

¹⁰ رواه ابن خزيمة في صحيحه (1/92/2) وابن حبان (340/341) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم إسناده جيد.

¹¹ نقلًا عن فتح المجيد 251

¹² الرد على الأختائي 11

الكشف عند البيجوري وطرف من وحدة الوجود

من المعلوم البدهي لدى المسلم أن لكل فن من الفنون مصادره، ولكل علم منه قواعد لا ينبغي التصرف فيها، وهذه القواعد ما وضعت في كل فن إلا حفاظ عليه من الدخن الوارد عليه، ومن أجل تمييز حقائقه من أباطيله وبدون هذه القواعد يصبح الأمر قوضى لا ضابط له.

وإذا علم هذا فإن اطمئنان النفس وحديثها، وخيالات العقول لا تصلح بحال من الأحوال ضابطاً يقوم به مقبول العلوم ومردودها، لأن أمزجة النفوس مختلفة، ورغائب القلب وهواه مضطرب لا استقرار له، وقد يحصل في النفس أمر يكون خلاف الحق، ومن أجل هذا فمعلوم قطعاً أن عقائد المسلمين لا تؤخذ إلا من الوحيين الكتاب والسنة.

قال الإمام العلامة عبدالرحمن بن المعلمي اليميني: (مآخذ العقائد الإسلامية أربعة: سلفيان وهما الفطرة والشرع، وخلفيان وهما النظر العقلي المتعمق والكشف الصوفي).

أما الفطرة فأريد بها ما يعم الهداية الفطرية والشعور الفطري والقضايا التي يسميها أهل النظر

ضروريات وبديهيات، والنظر العقلي العادي وأعني به ما يتيسر للآميين ونحوهم ممن لم يعرف علم الكلام ولا الفلسفة.

وأما الشرع فالكتاب والسنة.

وأما النظر العقلي المتعمق فيه فما يختص بعلم الكلام والفلسفة.

وأما الكيف التصوفي فمعروف عند أهله ومن يوافقه عليه¹.

ثم قال: (ومن أول من مزج التصوف بالكلام الحارث المحاسبي ثم اشتد الأمر في الذين أخذوا عنه فمن بعدهم، وكان من نتائج ذلك قضية الحلاج ولعله كان في أقران الحلاج من هو موافق له في الجملة؛ بل لعل فيهم من هو أوغل منه إلا أنهم كانوا يتكتمون ودعا الحلاج إلى إظهار ما أظهره من حب الرياسة، وكذلك مزج الفلسفة في التصوف كان معروفاً عند بعض الفلاسفة الأقدمين، وتجد في كلام الفارابي وابن سينا تنفاً من ذلك، وكذلك في كلام متفلسفة المغاربة كابن باجة وغيره، وهكذا الباطنية كانوا ينتحلون التصوف فلما جاء الغزالي نصب التصوف منصب الكلام والفلسفة الباطنية، وزعم أن الحق لا يعدو هذه الأربع مقالات وقضى ظاهراً للتصوف مع ذكره غيره أن طائفة من المتصوفة ذهبوا إلى الإباحة المطلقة وفي ذلك نبذ الشراع البتة، ثم لم يزل الأمر يشتد حتى جاء ابن عربي وابن سبعين والتلمساني ومقالاتهم معروفة، ومن تتبع ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة وأئمة التابعين وما يصرح به الكتاب والسنة وأثار السلف وأنعم النظر في ذلك ثم قارن ذلك بمقالات هؤلاء القوم علم يقيناً أنه لا يمكنه إن لم يغالط نفسه أن يصدق الشرع ويصدقهم معه، وإن غالط نفسه وغالطته فالتكذيب ثابت في قرارها ولا بد).

هذا والشرع يقضي بأن الكشف ليس ما يصلح الاستناد إليه في الدين ففي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ((لم يبق من النبوة إلا المبشرات، قالوا: وما المبشرات؟ قال: الرؤية الصالحة)).

¹ القائد لتصحيح العقائد 37

وورد نحوه من حديث جماعة من الصحابة ذكر في فتح الباري منها حديث ابن عباس عند مسلم وغيره وحديث أم كرز عند أحمد وابن خزيمة وابن حبان وحديث حذيفة ابن أسيد عند أحمد والطبراني وحديث عائشة عند أحمد وحديث أنس عند أبي يعلى.

وفيه حجة على أنه لم يبق مما يناسب الوحي إلا الرؤيا.

وقال: (قد تقدم أن الرؤية قصرها التبشير والتحذير وفي الصحيح: أن الرؤيا قد تكون حقا وهي المعدودة من النبوة، وقد تكون من الشيطان، وقد تكون من حديث النفس والتميز مشكك، ومع ذلك فالغالب أن تكون على خلاف الظاهر، حتى في رؤيا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كما قص من ذلك القرآن وثبت في الأحاديث الصحيحة ولهذه الأمور اتفق أهل العلم على أن الرؤيا لا تصلح للحجة وإنما هي تبشير وتنبيه وتصلح للاستئناس بها إذا وافقت حجة شرعية صحيحة كما ثبت عن ابن عباس أنه كان يقول بمتعة الحج لثبوتها عنده بالكتاب والسنة فرأى بعض أصحابه رؤيا توافق ذلك فاستبشر ابن عباس.

هذه حال الرؤيا فقس عليه حال الكشف إن كان في معناه فاما إن كان دونها فالأمر واضح وتجد في كلام المتصوفة أن الكشف قد يكون حقا وقد يكون من الشيطان وقد يكون تخيلا موافقا لحديث النفس وصرحوا بأنه كثيرا ما يكشف للرجل بما يوافق رأيه حقا كان أو باطلا، ولهذا تجد في المتصوفة من ينتسب إلى قول أهل الحديث ويزعم أنه يكشف له بصحة مذهبه وهكذا تجد فيهم الأشعري والمعتزلي والمتفلسف وغيرهم وكل يزعم أنه يكشف له بصحة مذهبه ومخالفة منهم لا يكذبه ولكن يكذب كشفه وقد يكشف لأحدهم بما يوافق مقالات الفرقة التي ينتسب إليها وإن لم يكن قد عرف تلك المقالات من قبل كأنه لحسن ظنه بهم وحرصه على موافقتهم إنما تتجه همته إليهم فيقرأ أفكارهم وترتسم في مخيلته أحوالهم.

فالكشف إذا تبعاً للهوى فغايته أن يؤيد الهوى ويرسخه في النفس ويحول بين صاحبه وبين الاعتبار والاستبصار فكان الساعي في أن يحصل له الكشف إنما يسعى في أن يضل الله عز وجل، ولا ريب أن من التمس الهدى من غير الصراط المستقيم مستحق أن يضل الله

عز وجل، وما يزعمه بعض غلاتهم من أن لهم علامات يميزون بها بين ما هو حق من الكشف وما هو باطل دعوى فارعة إلا ما تقدم عن أبي سليمان الداراني وهو أن الحق ما شهد له الكتاب والسنة؛ لكن المقصود الشهادة الصريحة التي يفهمها أهل العلم من الكتاب والسنة بالطريقة التي كان يفهمها بها السلف الصالح.

فأما ما عرف عن المتصوفة من تحريف النصوص بما هو أشنع وأفضع من تحريف الباطنية فهذا لا يشهد لكشفهم؛ بل يشهد عليهم أوضح شهادة بأنه باطل من الباطل.

أولاً: لأن النصوص بدلالاتها المعروفة حجة، فإذا شهدت بطلان قولهم علم أنه باطل.

ثانياً: لأنهم يعترفون أن الكشف محتاج إلى شهادة الشرع، فإن قبلوا من الكشف تأويل الشرع فالكشف شهد لنفسه، فمن يشهد لنفسه على تأويله.

وأما التحديث والإلهام ففي "صحيح البخاري" وغيره من أحاديث أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون فإن يكن في أمتي أحد فإنه عمر" وأخرجه مسلم من حديث أبي سلمة عن عائشة وفيه: "فإن يكن في أمتي منهم أحد فإن عمرين الخطاب منهم" وجاء في عدة روايات تفسير التحديث بالإلهام.

وهذه سيرة عمر بين أيدينا لم يعرف عنه ولا عن أصدق أئمة الصحابة وعلمائهم استدلالاً بالتحديث والإلهام في القضايا الدينية؛ بل كان يخفى عليهم الحكم فيسألون عنه فيخبرهم إنسان بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فيصيرون إليه، وكانوا يقولون القول فيخبرهم إنسان عن النبي صلى الله عليه وسلم بخلافه فيرجعون إليه.

وأمام الفراسة فإن المتفرس يمكنه أن يشرح لغيره تلك الدلائل التي تنبه لها فإذا شرحها عرفت، فإن كانت مما يعتد به عمل بها، لا بالفراسة). انتهى من القائد لتصحيح العقائد.

أقول:

بعد هذه المقدمة التي تبين شيئاً عن حقيقة الكشف وأنه ليس من الدين في شيء ولا يصلح دليلاً لحقيقة علمية، سنرى وضع البيجوري العجيب وأمره معه الكشف وإلى أي مدى عنده يصلح الكشف دليلاً لإثبات الحقائق العلمية.

يقول البيجوري: بعد أن يذكر طرق النظر الموصلة للحقائق العقديّة: (ويقوم مقام ذلك ما لو عرف العقائد بالكشف)².

أي إن الكشف يوصلك إلى حقيقة العقائد الإيمانية مع العلم أنه لم يذكر شيئاً عن الكتاب والسنة، وأنهما يصلحان طريقاً للعقائد؛ بل منع تحصيلها بأحاديث الأحاد.

وهنا لا بد من تساؤل عن الكشف بأي شيء يحصل: هل هو باستغراق صوفي ضال على طريق متصوفة الهند والعقائد الباطلة يحصل الكشف؟! أم بماذا؟ وخاصة إذا علمنا أن هذا الرجل السالك إلى حقيقة الكشف - كما زعم - ليس لديه عقيدة سليمة حال سلوكه فهذه الأعمال التي توصله إلى الكشف بأي نية يقوم بها وبأي طريق؟

جزماً سيكون الجواب أنه بغيره نية صحيحة، وبغير عمل صالح لأنه بعد لم يصل إلى العقائد الصحيحة كما يزعم.

ونتيجة لذلك، إلى أي عقيدة سيصل هذا السالك؟

قطعاً سيصل إلى عقيدة أبالسة الأرض منذ أن ذرأ الله ذرية آدم ألا وهي وحدة الوجود.

وليس هذا تجني على البيجوري وأمثاله ممن يؤمنون بالكشف طريقاً يوصل إلى المعرفة؛ بل هو يصرح بذلك ويدين نفسه بنفسه.

يقول البيجوري: (فإن تصديق المقلد ليس كتصديق العارف بالدليل، وهو ليس كتصديق المراقب، وهو ليس كتصديق المشاهد، وهو ليس كتصديق المستغرق الذي لا يشاهد إلا الله)³.

² الجوهرة 22

³ الجوهرة 51

هذه نهاية الكشف وهو أن لا يشاهد إلا الله. لا يرى في الوجود إلا الله. لا خالق ولا مخلوق فإلكل هو الله. العبد رب وأرب عبد.

وإن أردت عبارة أصرح منها وأوضح من البيجوري، تكشف عن مؤدى كشفه فاقراً: (فالتقليد - أي في المعرفة - للعوام، والعلم لأصحاب الأدلة، والعيان لآه المراقبة ويسمى مقام المراقبة، والحق للعارفين، ويسمى مقام المشاهدة، والحقيقة للواقفين ويسمى مقام الفناء لأنهم يفنون عن غير الله ولا يشهدون إلا إياه، وأما حقيقة الحقيقة فهي للمرسلين، وقد معنا الله من كشفها، فلا سبيل إلى بيانها).

وحدة وجود بينة واضحة وطامات مستورة لا يستطيع (تستراً) بيانها، فسبحان الله العظيم إذا كان الكفر قد كشفه وبينه فما هو المستور الذي يخاف فضحه. وإذا كانت حقيقة الحقائق يخفيها عن المسلمين إذا: ما هذا الذي يعلمهم في شرحه جوهره التوحيد هل هو باطن؟ هل هو الظاهر؟ وهناك من الباطن المستور، وقطعاً أنه يخالف الظاهر المنظور إليه.

لا يستطيع عالم منصف أن يمسح هذا السواد المظلم عن هذه الضلالات، أو أن يجد لها تويلاً. وبعد هذا كله يكون هذا الشرح معتمداً لدى المسلمين في مدارسهم وحلقاتهم. هذا الكشف في العقائد. فهل الكشف عند البيجوري يصلح لأمر آخر؟

يقول البيجوري: (ولعل هذا الحديث - حديث إحياء والذي النبي صلى الله عليه وسلم وإيمانها ثم موتها - صح عند أهل الحقيقة بطريق الكشف).

يا لضيعة جهود علماء الحديث وتعبهم في البحث عن الأسانيد وتجميعها، ويا لضيعة جهودهم في تحقيق هذه الأسانيد. لماذا أضاعوا أعمارهم؟ ولماذا شقوا على أنفسهم إذا كانت هذه العلوم والضوابط لا معنى لها عند البيجوري؟

⁴ الجوهره 43

⁵ الجوهره 30

يجلس الصوفي في خلوة له مستغرقاً في وحدة الوجود، وبالكشف يخبرنا صحيح الحديث وضعيفه {كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً}.

أهذا هو العلم، وهكذا هو الإسلام الذي فهمه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم. أهذا هو إسلام التابعين وأئمة المسلمين. أهذه هي عقائد المسلمين التي يعلمهما البيجوري في شرحه للجوهرة؟

والذي يجب علي أن لا أكتمه عن حقيقة الكشف بعد ذلك وأنه ضلال في ضلال؛ بل هو الجنون بعينه.

أقول: إن الكشف هو عبارة عن أمور في نفس الشخص يظن أنها موحدة في الأعيان فيجزم بوقوعها وأنها حقيقة قائمة، ولا يستطيع نفيها عنده أحد مهما جمعت لديه الأدلة الأخرى على ضلال اعتقاده، لوحدة الوجود وحصول بعض المشاهدات لديه كادعائه أنه يرى الله وأن الله يكلمه وأنه يجلس مع الرسول صلى الله عليه وسلم ويتلقى منه العلم ويصلي الفرائض ورأته وهي في الحقيقة تصورات ذهنية داخلية وخيالات نفسية شيطانية ليس لها واقع صحيح وليست من هدي الكتاب والسنة ولا هي سبيل المؤمنين.

أي نستطيع أن نقول إن الكشف هو خيال جنوني داخلي يدعي الصوفي أنه به يحصل له علم اليقين في مسائل الاعتقاد وفي كثير من المسائل الشرعية وغيرها وهذا شرع من الدين لم ياذن به الله ولا رسوله.

فنسأل الله العفو والعافية.

وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: (وعامة هؤلاء إذا خوطبوا ببيان فساد قولهم قالوا من جنس قول النصراني هذا أمر فوق العقل، ويقول بعضهم ما كان يقول التلمساني لشيخ أهل الوحدة يقول: يثبت عندنا في الكشف ما يناقض صريح العقل)⁶.

فإذا لم تكن من صحيح النقل ولا من صريح العقل؛ فمن أين جاءت؟

لاشك أنها من الشيطان والهوى.

⁶ الجواب الصحيح 2/92

البيجوري والتقليد

قال اللقاني:

ومالك وسائر الأئمة
فواجب تقليد خبر منهم
كذا أبو القاسم هداة الأمة
كذا حكى القوم بلفظ
يفهم¹

وأبو القاسم هو محمد الجنيد سيد الطائفة الصوفية.
والتقليد هو: العمل بقول الغير من غير حجة².

إذاً فالناظم يريد منا ومن مجموع الأمة أن نقلد
الأئمة الأربعة وكذا نقلد الجنيد، فالأئمة الأربعة في
المسائل الفقهية، والجنيد في التصوف³.

إن الناظر لهذه المسألة مع عرضها على نصوص
السنة النبوية وأقوال الأئمة، يرى فيها أن الحق في جانب
يخالف الجانب الذي دعا إليه اللقاني، لأن الله عز وجل قد
تعبدنا بكتابه وبسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وقد منع
كثير من الأئمة جواز التقليد؛ بل قد ذكر بعضهم الإجماع
على ذلك:

قال عبدالله بن خوير منداد البصري المالكي:
(التقليد معناه في الشرع الرجوع إلى قول لا حجة لقائله
عليه، وذلك ممنوع منه في الشريعة. والإتباع ما ثبت عليه
حجة)⁴.

وقد نهى الأئمة عن تقليدهم فينبغي متابعتهم فيما قالوا:

1) سئل أبو حنيفة: إذا قلت قولاً وكتاب الله
يخالفه؟ قال: (أتركوا قولي لكتاب الله). فقيل: إذا كان
خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم يخالفه؟ قال:
(أتركوا قولي لخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم).

¹ الشرح 150

² إرشاد الفحول 265، وشرح جوهرة التوحيد 33

³ الشرح 151

⁴ جامع بيان العلم وفضله 2/117

فقبل له: إذا كان قول الصحابة يخالفه؟ قال: (أتركوا قولي لقول الصحابة رضي الله عنهم) ⁵.

(2) قال عبدالله بن المبارك: سمعت أبا حنيفة يقول: (إذا جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم فعلى الرأس والعين، وإذا جاء عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نختر من قولهم، وإذا جاء عن التابعين زاحمناهم)

(3) قال الشافعي: (إذا قلت قولاً وكان عن النبي صلى الله عليه وسلم خلافه فما يصح من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى فلا تقلدوني) ⁷.

(4) وقال رحمه الله: (إذا صح خبر يخالف مذهبي فاتبعوه وأعلموا أنه مذهبي).

(5) وقال: (مثل الذي يطلب العلم بلا حجة كمثلي حاطب ليل، يحمل حزمة حطب، وفيه أفعى تلدغه وهو لا يدري) ⁸.

(6) وأما أحمد بن حنبل رحمه الله فقال أبو داود: قلت لأحمد بن حنبل: الأوزاعي هو أتبع أم مالك - كأنه يريد أكثر أتباعاً من مالك - فقال: (لا تقلد في دينك أحداً من هؤلاء، ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فخذ به ثم التابعين بعد الرجل فيه مخير) ⁹.

(7) وقال أحمد أيضاً: (لا تقلدني ولا تقلد مالكاً ولا الثوري ولا الأوزاعي، وخذ من حيث أخذوا) ¹⁰.

(8) وقال رحمه الله: (من قلة فقه الرجل أن يقلد دينه الرجال) ¹¹.

⁵ إيقاظ همم أولي الأبصار 50

⁶ الإيقاظ 70

⁷ إعلام الموقعين 2/285، وإيقاظ همم أولي الأبصار 50

⁸ إعلام الموقعين 2/211

⁹ مسائل الإمام أحمد لأبي داود 276-277، وإعلام الموقعين 201-2/200

¹⁰ إعلام الموقعين 2/201، والإنصاف 105

¹¹ إعلام الموقعين 2/201

(9) وقال الشافعي: (أجمع الناس على أن من استبان له سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له أن يدعها لقول أحد)¹².

(10) وقال: (إذا صح الحديث على خلافي قولي فأضربوا قولي بالحائط، واعملوا بحديث الضابط)¹³.

فهذه نصوص الأئمة وغيرها كثير تدل دلالة واضحة على أنهم قد ألزموا بعض أتباعهم على ترك تقليدهم ويرون ذلك من قلة الفقه وإن الإتياع - إتياع الكتاب والسنة - هو سبيل أهل التدين من السلف والخلف.

أما قول الناظم بوجوب التقليد فهو قول مدعى يعوزه الدليل، وينقصه البرهان.

أما احتجاج البيجوري بالآية الكريمة: **{ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون }!**

فالجواب: إن الآية الكريمة التي سقت قد أمر الله تعالى فيها من لا يعلم أن يسأل (أهل الذكر)، والذكر هو القرآن والسنة كما ذكره الله في قوله مخاطباً لنساء رسول الله صلى الله عليه وسلم: { واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة }. وآياته القرآن، والحكمة السنة.

وكما قال تعالى: { هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة } فالأمر في الآية للجاهل أن يسأل أهل القرآن والحديث⁴ عنهما ليخبروه، فإذا أخبروه وجب عليه إتياع ما أخبر به¹.

أما قول الناظم بوجوب تقليد الجنيدي في التصوف، وهو كما شرحه البيجوري، فهو قول سابق عجب.

فالصوفية مذهب دخل ليس من الإسلام في شيء، وهو ديانة مستقلة ليس لها وجه قرينة مع الإسلام، لا في أصولها، ولا في فروعها، فهي لها عقائد خاصة بها، وأركان

¹² إعلام الموقعين 2/282، وإيقاظ أولي الأبصار 58-103

¹³ إعلام الموقعين 2/288، وإيقاظ أولي الأبصار 63

¹⁴ إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد 169

عبادات كذلك. وشرح هذا الأمر يطول جداً وعلى الأخ القارئ أن ينظر كتاب الأستاذ محمود قاسم: (الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ) فهو كتاب فريد قد ملئه صاحبه بالنصوص الصوفية التي لا تترك لطالب الحق مناصاً إلا الاعتراف أن الصوفية مذهب شركي ليس من الإسلام في شيء.

ومن آثار دعوة هذا الناظم أنه جعل على المسلمين جميعاً وجوب تقليد إمام معين لا يخرج عنه قيد أنملة، وكذلك عليه إتباع طريقة الصوفية، ومن هنا صار مؤلفاً أن ترى الرجل بعد أن يذكر اسمه وموطنه، يذكر مذهبه، فهو شافعي مثلاً أو حنفي، وهو بعد ذلك قادري أو شاذلي أو رفاعي من هذه الأسماء التي ما أنزل الله بها من سلطان. فالله سبحانه وتعالى قد سمانا المسلمين، ورضي الإسلام لنا ديناً، فكيف لا نرضاه لأنفسنا؟!!

فمن هنا صارت الأمة شيعياً وأحزاباً، وصار لهذه الشيع والفرق كتب علمية خاصة فيها، وهي من الضلال بمكان. فعلى قول اللقاني بتقليد الجنيد أو أحد أتباعه من مشايخ التصوف، ماذا يصنع طالب العلم وهو يرى حملاً وعبارات شركية تنسب للجنيد وليس لطالب العلم إلا أن يسلم بها لوجوب تقليده كما أمر اللقاني والبيجوري.

وماذا يصنع طالب العلم بقول الجنيد: (لا يكون الصديق صديقاً حتى يشهد له في حقه سبعون صديقاً أنه زنديق)¹⁵.

ماذا يصنع بمثل هذه الطامات التي تنسب للجنيد أيسلم لها تقليداً أم يتبع الكتاب والسنة ويقول سبحانه هذا بهتان عظيم.

إن القول بتقليد عالم أو رجل من غير حجة كائن من كان هو امتهان لعقول البشر وسخرية بإنسانيتهم فلا ينبغي للمرء أن يسلم لأحد إلا لله تعالى ورسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال الإمام الشافعي: (وأما أن يقلده فلم يجعل الله ذلك لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم)¹⁶.

¹⁵ المناظر الإلهية للجيلي 44
¹⁶ إرشاد الفحول 265

ضلالات وطامات في شرح جوهرة التوحيد

من المضحكات المبكيات غرائب كثير من القصص التي يريد بها البيجوري في شرحه، وغرائب هذه القصص يكمن في أن فيها من الشطط والضلالات والدعوة إلى الجاهلية الشيء الكثير، والبيجوري يورد هذه القصص ليدلل بها على عقيدته وينصر بها دعوته. سيرى قارئ هذه القصص أو أمثلة منها كم أن البيجوري يحتقر عقل المرء المسلم الواعي وكم يحدث في عقل المتابع له من الضلالات والاعتقادات الباطلة الغربية.

(1) يقول البيجوري: عن موسى عليه السلام حين سمع كلام الله - من غير صوت - : (وقد أشرق وجهه من النور، فما رآه أحد إلا عمي فتبرقع وبقي البرقع على وجهه إلى أن مات)¹.

ولعلك ستسأل أخي القارئ من أين للبيجوري هذا الخبر ومن أي طريق استقاه؟

وسيجيبك أتباع البيجوري من الأشاعرة والصوفية: قد صح هذا عند أهل الحقيقة بطريق الكشف وما عليك إلا التسليم، ولا تعترض فتنترد.

وكلنا نقول الم بسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم كلام ربه حين أسري به؟ فلماذا لم يتبرقع رسول الله صلى الله عليه وسلم؟؟ كما فعل أخوه موسى من قبل كما زعموا؟؟

(2) يقول البيجوري: وحكي أن بن الشجري كان يقرر في درسه قوله تعالى: {كل يوم هو في شأن} فسأل

¹ الشرح 74

سائل وقال له: ما شأن ربك الآن؟؟ فاطرق رأسه وقام متحيراً فنام، فرأى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن ذلك فقال له صلى الله عليه وسلم: السائل لك الخضر، فإذا أتاك في غد وسالك فقل له: شؤون يديها ولا يبتديها يرفع أقواماً ويخفض آخرين. فلما أصبح، أتاه وسأله فأجابه بما ذكر فقال له: صل على من علمك. ومشى مسرعاً.

في هذه القصة يقرر عدة أمور منها:

- 1) أن الخضر عليه السلام بين أظهرنا .
- 2) ان الخضر عليه السلام يعلم الغيب حتى ما يحدث معنا في منامتنا " صل على من علمك".
- 3) الرؤى والأحلام طريق من طرق تلقي العلم.

وللجواب على هذه الأمور نقول:

- 1) إما أن الخضر عليه السلام حي فقول الله تعالى: {وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون} رد عليه وناف له.
- 2) إما أن الخضر عليه السلام يعلم الغيب فقول الله تعالى: {قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله}، وقوله تعالى: {عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً} أحق بالإتباع والقبول.
- 3) إما أن الرؤى والأحلام طريق تلقي العلم فقول الله تعالى: {اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً} بيان أوضح على أن العلم هو كتاب وسنة.

الخاتمة

بعد هذا الاستعراض المختصر لعقيدة البيجوري لشرحه لجوهرة التوحيد , هذا الكتاب الذي صار عمدة للحلقات العلمية الشرعية , ومصدرا للتدريس في بعض الجامعات والمعاهد الإسلامية.

بعد هذا الاستعراض: هل البيجوري في شرحه لجوهرة التوحيد يمثل أهل السنة والجماعة؟

لقد رأينا فيما سبق أن البيجوري وشرحه لا يمثل أهل السنة , فهو يمثل مذهبا بدعيا؛ ألا وهو العقيدة الأشعرية , وقد جمعت هذه العقيدة عقائد وتصورات لمذاهب تلکم عليها أهل السنة من السلف الصالح وردوا عليها ردودا مفصلة , فقد رأينا أشعرية البيجوري قد جمعت الإرجاء في الإيمان والجبر في القدر وقول الجمهية في الأسماء والصفات وقول المعتزلة في خلق القرآن؛ فهل بعد هذا كله أشعرية البيجوري تكون هي معتقد أهل السنة والجماعة؟؟

إذا كانت الجبرية منفردة قد حملت لواء به خرجت عن أهل السنة وعدت فرقة بدعية ضالة , وإذا كانت المعتزلة منفردة قد حملت لواء القول بخلق القرآن وبه عدت فرقة بدعية ضالة , وإذا كانت المرجئة منفردة حملت لواء الإرجاء وبه خرجت عن أهل السنة , إذا كانت كل فرقة من هذه الفرق مع قولها بدعة منفردة قد خرجت من أن تكون ممثلة لأهل السنة والجماعة؛ فكيف بمن حمل هذه العقائد جميعا, هل يكون في عقيدته من أهل السنة والجماعة؟؟

الجواب: قطعاً وبكل يقين هو النفي.

وقد انبرى عدد من أئمة الهدى للرد على مثل ما يدعو إليه البيجوري في عقيدته ، فالأئمة على مدار القرون: الأول والثاني والثالث والرابع قد نشطة أقلامهم في الرد على أهل البدع من خلف البيجوري وأمثاله:

فقد ألف عبدالله بن مبارك (181هـ) وأبو سعيد يحيى بن سعيد القطان (198هـ) وابن أبي شيبة (225هـ) ونعيم بن حماد المروزي (228هـ) وعبدالله بن محمد الجعفي شيخ البخاري (229هـ) وإسحاق بن راهويه (238هـ) وأحمد بن حنبل (241هـ) ومحمد بن إسماعيل البخاري (256هـ) فهؤلاء وأمثالهم كتبوا المصنفات وألفوا الردود على أمثال البيجوري في عقيدته وكلهم قد أكدوا اعتماد الكتاب والسنة مصدرا وحيدا للعقيدة وطعنوا في كل عقيدة تصادم النصوص الشرعية.

فعلى المسلم المتبع أن يوجه وجهته نحو المصادر اليقينية الصحيحة ليستقي منها عقيدته: الكتب التي تعتمد في أدلتها على كتاب الله وسنة النبي صلى الله عليه وسلم فنسال الله عز وجل حسن الإتياع ووقانا من شر الابتداع.

فكل خير في إتياع من سلف
وكل شر في
ابتداع من خلف

وصلى الله على نبينا وأسوتنا محمد
وعلى اله وصحبه ومن تبعهم وحذا حذوهم إلى يوم الدين

**تم تنزيل هذه المادة من
منبر التوحيد والجهاد**

المراجع

- 1 - الإبانة عن أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري - دالا الكتاب العربي.
- 2 - ابن حزم وموقفه من الإلهيات للدكتور أحمد بن ناصر الحمد - جامعة أم القرى.
- 3 - اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية لابن قيم الجوزية - دار الكتب العلمية.
- 4 - الأحكام في أصول الأحكام لابن حزم الأندلسي - منشورات دار الأفاق الجديدة.
- 5 - الأدب المفرد - الإمام البخاري - باعتناء محمد هشام البرهاني.
- 6 - إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق في علم الأصول - الإمام الشوكاني - دار الفكر.
- 7 - الاستدلال بالظني في العقيدة - فتحي محمد سليم.
- 8 - أصل الاعتقاد دراسة حديثة - لعمر الأشقر - الدار السلفية الطبعة الأولى.
- 9 - أصول الديانة للبيغدادي - استنبول.
- 10 - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن - لمحمد الأمين الشنقيطي - الرئاسة العامة للبحوث العلمية.
- 11 - الاعتصام للإمام الشاطبي - دار الفكر.
- 12 - علاقة الإثبات والتفويض بصفات رب العالمين - رضا نعيان معطي - الطبعة الخامسة.
- 13 - الأعلام لخير الدين الزركلي - دار العلم للملايين.
- 14 - إعلام الموقعين عن رب العالمين - ابن القيم - دار الجيل.
- 15 - اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم - ابن تيمية - بتحقيق ناصر العقل.

- 16 - الإنصاف في أسباب الاختلاف لولي الله
الدهلوي - مراجعة عبدالفتاح أبو غدة - دار النفائس.
17 - إيقاظ همم أولي الأبصار للفلاني - دار نشر
الكتب الإسلامية - باكستان.
18 - الإيمان لابن تيمية - تلخيص حسين يوسف
الغزال - دار إحياء العلوم.
19 - بدعة التعصب المذهبي لمحمد عيد عباسي -
المكتبة الإسلامية.
20 - تاريخ بغداد للخطيب أحمد بن علي - المكتبة
السلفية.
21 - تبين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي
الحسن الأشعري - ابن عساكر - طبعة دمشق.
22 - التعرف على مذهب أهل التصوف للكلاباذي -
لجنة نشر التراث الصوفي.
23 - تفسير ابن كثير - دار الفكر.
24 - التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل لابن
خزيمة - تعليق هراس - دار الكتب العلمية.
25 - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - دار الفكر.
26 - جواب أهل العلم والإيمان لابن تيمية.
27 - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن
تيمية - مطابع المجد التجارية.
28 - حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني.
29 - الرد على الأحنائي لابن تيمية - تحقيق
عبدالرحمن المعلمي.
30 - الرد على الجهمية للإمام الدارمي - تعليق: بدر
البدر - الدار السلفية.
31 - الرسالة للإمام الشافعي - تحقيق أحمد شاكر.
32 - الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم
للوزير اليماني - دار المعرفة.
33 - سنن ابن ماجة - ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي.
34 - سنن الترمذي - تحقيق عبدالرحمن محمد
عثمان - دار الفكر.
35 - سنن الدارمي - دار الفكر.
36 - سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشيته
السندي - دار الفكر.
37 - سير أعلام النبلاء للذهبي - مؤسسة الرسالة.
38 - شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز -
المكتب الإسلامي.
39 - شفاء العليل في مسائل القدر والحكمة
والتعليل لابن القيم الجوزية - مكتبة دار التراث.
40 - صحيح ابن خزيمة - تحقيق الأعظمي.

- 41 - صحيح البخاري - دار إحياء التراث العربي.
42 - صحيح مسلم - ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي.
43 - طبقات الشافعية الكبرى - القاهرة.
44 - العقيدة في الله لعمر الأشقر - مكتبة الفلاح -
الطبعة الخامسة.
45 - فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر
العسقلاني - دار الفكر.
46 - فتح المجيد شرح كتاب التوحيد - عبدالرحمن
بن حسن آل الشيخ.
47 - في مجال العقيدة عرض ونقد - غازي التوبة -
مؤسسة الرسالة.
48 - القائد إلى تصحيح العقائد - عبدالرحمن بن
يحيى المعلمي - المكتب الإسلامي.
49 - قواعد التحديث في فنون مصطلح الحديث -
جمال الدين القاسمي - دار الكتب العلمية.
50 - القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه
الحسنى.
51 - لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد لابن
قدامة المقدسي - دار مصر.
52 - مجموع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي -
مؤسسة المعارف.
53 - مجموع فتاوى شيخ الإسلام - جمع عبدالرحمن
بن قاسم وابنه محمد.
54 - مختصر العلو للعلي الغفار للذهبي - الألباني -
المكتب الإسلامي.
55 - المستدرک علی الصحیحین للحاکم النیسابوری
- دار الفكر.
56 - مسند أبو داود الطيالسي - دار المعرفة.
57 - مسند أحمد بن حنبل - المكتب الإسلامي.
58 - معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم
الأصول - حافظ بن أحمد الحكمي - المطبعة السلفية.
59 - معالم في الطريق لسيد قطب - دار الشروق -
الطبعة العشرة.
60 - مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة للسيوطي -
الجامعة الإسلامية.
61 - مقالات الإسلاميين للأشعري - نشر محيي
الدين عبدالحميد.
62 - الملل والنحل للشهرستاني - تحقيق محمد
سيد الكيلاني - دار المعرفة.
63 - مناقب الإمام أحمد بن حنبل لابن الجوزي - دار
الآفاق.

- 64 - المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي
- حيدر آباد.
- 65 - منهاج السنة النبوية لابن تيمية - دار الكتب
العلمية.
- 66 - منهاج ودراسات لآيات الأسماء والصفات
للشنقيطي - الجامعة الإسلامية.
- 67 - موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول لابن
تيمية - مطبعة السنة المحمدية.
- 68 - النووي على مسلم - النووي - دار الفكر.
ومراجع أخرى تراها في طيات الكتاب.

فهرس

(1)	المقدمة	ص 1
(2)	الأشعرية وكلام اللـه	ص 3
(3)	البيجوري وحديث الآحاد	ص 13
(4)	البيجوري ومفهوم الإيمان	ص 23
(5)	الأشعرية وصفات الله	ص 29
(6)	البيجوري وأول واجب على المكلف	ص 44
(7)	البيجوري قبورياً	ص 46
(8)	الكشف عند البيجوري وطرف من وحدة الوجود	ص 52
(9)	البيجوري والتقليد	ص 58
(10)	ضلالات وطامات في شرح جوهرة التوحيد	ص 62
(11)	الخاتمة	ص 64
(12)	المراجع	ص 66
(13)	الفهرس	ص 69

تم تنزيل هذه المادة من
منبر التوحيد والجهاد